International Islamic University الجامعة الإسلامية العالمية
Islamabad - Pakistan إسلام آباد – باكستان
Faculty of Arabic كلية اللغة العربية

قصة داود و سليمان-عليهما السلام- في القرآن الكريم
دراسة تحليلية بلاغية

بحث تكميلي لنيل درجة ماجستير الفلسفة في كلية اللغة العربية و الحضارة الإسلامية

تحت إشراف: أ.د. عادل محمد محمد الأكرت (الأستاذ المشارك في الأدب و البلاغة بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد)

الإعداد: علي عبد الله الصيني Li Chong

رقم التسجيل: 208 FA-MS/F10

International Islamic University CENTRAL LIBRARY Islamabad

1434هـ - 2013م

Accession No. TH 91320

للخزينة - بلاعة

MS
297.4591
ع ا ق

أسلام . نفس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، منه العون و عليه التكلان، و الصلاة و السلام على أفصح الناس منطقا و أشرفهم لسانا و أثبتهم جنانا سيدنا محمد، و على آله و صحبه أئمة القول و أساطين البيان، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقال الله تعالى في كتابه الحكيم: "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ".[1]

إن الله أنزل القرآن باللغة العربية مبينا حقائق الحياتين، فلا نستطيع أن نفهم معاني القرآن و مقاصده إلا بها، خاصة البلاغة العربية التي هي من أهم الأدوات التي نعتمد عليها في فهم النظم القرآني و إثبات إعجازه.

فهذا البحث في البلاغة القرآنية، إذ اخترت قصة نبيين من قصص القرآن لتكون موضوع بحثي بعنوان "قصة داود و سليمان في القرآن الكريم: دراسة تحليلية بلاغية."

[1] سورة يوسف، آية 2-3

وأنا لا أزعم أني سآتي بجديد، و لكن كل الذي أرجوه أن أستفيد من دراستي هذه حتى تفتح أمامي أبواب فهم القرآن فهما صحيحا.

أسباب اختيار الموضوع:

1- حبي للقرآن الكريم، لأنه مخاطبة الخالق للخلق، و أساس دين الإسلام، لذا تجب العناية به على سائر المسلمين. فأود أن أكون خادما له في حياتي، لو أستطيع كشف سرا من أسراره فهذا من فضل ربي علي.

2- حبي للبلاغة العربية، إن الله أرسل الرسل و الأنبياء هدى للناس و أيدهم بالمعجزات، و معجزة نبينا الكبرى هي القرآن الخالد. كان العرب يفتخرون بفصاحة كلامهم و بلاغة لغتهم، فسموا أنفسهم بالعرب و غيرهم بالعجم. و مع هذا جاء القرآن يتحداهم بأن يأتوا بمثله و لو سورة واحدة و لكن عجزوا. من هنا نعرف أن بلاغة القرآن أساس إعجازه، فأنا أحب أن أدرس هذا العلم لأحاول فهم وجوه إعجازه البلاغية.

3- حرصي على تعلم القرآن الكريم و تعليمه، فاتخذت قصة من قصص القرآن مدخلا لي إلى بحر علوم القرآن الذي لا شاطئ له، لأن في تلك القصص مواعظ حسنة و أثرا قويا على نفوس المخاطبين، و خاصة في قصة داود و سليمان، إذ إنها من أكثر القصص اختلافا بين أهل الكتاب، وهما أب و ابن تأتي قصتهما في القرآن معا دائما فأحاول أن أبين حقيقة صورتهما في ضوء القرآن الكريم و أقوال العلماء و الراسخين من المفسرين.

4- تشجيع الأساتذة لي على دراسة القرآن إذ فيها فوائد عدة للدارسين من حيث إن فيه كشف الحق و تقويم السبيل بما يزيد الإيمان في القلوب.

5- ظهور بعض التفاسير المملوءة بالأخطاء والأهواء في الصين تصد الناس عن الفهم الصحيح للقرآن، فأشعر بحاجة ماسة إلى دراسة القرآن على نهج صحيح لكي نجتهد في نشر العقيدة الصحيحة بين المسلمين الصينيين في المستقبل، و لكن لا يمكن أن يشتمل هذا البحث كل علومه، فاخترت جانبا واحدا من هذه الجوانب، و هو قصة داود و سليمان في القرآن الكريم.

أهمية هذا الموضوع

إن لهذا الموضوع أهمية كبيرة أجملها فيما يلي:

1- إن القرآن كتاب الإسلام و أساسه، فيجب علينا أن ندرسه دراسة كاملة دقيقة، فلا نجد آية منه إلا و فيها معاني كثيرة لا ندركها إلا من قراءة مستمرة مع فهم عميق. كلما أقرأ قصص الأنبياء في القرآن يزداد الإيمان في قلبي بسبب قوة أسلوبه و دقة تعبيره، هذه القصص تعتبر ثلث القرآن فنحن المسلمين لابد لنا أن نستقرئ هذه القصص و ندقق النظر فيها حتى نستخرج من أسرارها ما استطعنا. فاخترت قصة من أهم هذه القصص و هي قصة داود و سليمان عليهما السلام، لأنهما أول من آتاه الله النبوة و الملك معا من أنبياء بني إسرائيل، و مع هذا سخر الله لهما الجبال و الطير

و الجن و الإنس و أيدهما بمعجزات أخرى، فمن هنا تظهر أهمية هذا الموضوع في دراستها.

2- لهذه القصص أهداف كثيرة: إن الله يقص علينا هذه القصص لينذرنا لقاء ذلك اليوم الثقيل، كما قال عز و جل في سورة الأنعام: " يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ "[1]؛ و لنتقي الله ونصلح أنفسنا أيضا، كما قال الله تعالى في سورة الأعراف:" يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ۙ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ "[2]؛ و ليثبت قلب النبي و كل من آمن به لما فيها من الحق و الموعظة و الذكرى للمؤمنين، إذ قال الله تعالى في سورة هود:" وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ"[3]؛ ولينبه الغافلين، كما قال الله تعالى في سورة يوسف:" نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا القُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ "[4]؛ و ليوضح ما يختلف فيه بنو إسرائيل، كما قال الله تعالى في سورة النمل:" إِنَّ هَٰذَا القُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ "[5]. فمن هذه الآيات القرآنية تتضح أهمية هذا الموضوع بلا شرح.

3- قد انتشر الآن بين المسلمين الصينيين كثير من قصص الأنبياء يختلط بالخرافات و الخيالات، هذه القصص في معرفة بعضهم تشبه الأساطير إلى حد بعيد، لا أصل لها ولا مرجع في ديننا، و هذا بسبب نشر بعض

---

[1] سورة الأنعام، آية 130
[2] سورة الأعراف، آية 35
[3] سورة هود، آية 12
[4] سورة يوسف، آية 3
[5] سورة النمل، آية 76

التفاسيرالمملوءة بالعقائد الفاسدة بينهم. فوجب بيان الفهم الصحيح لقصص القرآن حتى ينفى عنه الخطأ الذي شاع و انتشر نتيجة عدم فهم القرآن و قصصه. فأنا أرغب في القيام بهذا العمل الجليل و لكن لا أملك هذه القدرة الآن بسبب ضعف لغتي و قلة علمي و عدم معرفتي لمنهج العلماء في هذا المجال، فاخترت هذا الموضوع مدخلا لي إلى هذا المجال، حتى أقدرعلى أن أقوم بهذا العمل القيم في المستقبل إن شاء الله بعونه و فضله العظيم.

4- إن البلاغة العربية من أساس إعجاز القرآن، فلا بد من علمها حتى نفهم القرآن فهما صحيحا شاملا، و لكن معظم المسلمين في الصين لا يعرفون شيئا عنها فلا يستطيعون أن يدركوا متعة حقيقية من قراءته و لا يفهمونه فهما كاملا، فيحتاجون إلى معرفة هذا العلم و إلى من يعلمهم هذا العلم بمنهج صحيح و أسلوب أقرب إلى عقلهم و فهمهم، فمن الطبعي أن العلماء المسلمين الناطقين باللغة الصينية و العربية هم أولى بالقيام بهذا العمل، فأركز في هذا البحث على الدراسة البلاغية كي أدرس منهج العلماء وأسلوبهم في تأليف هذا العلم حتى أبذل جهداً و أسهم في المستقبل في نشر هذا العلم في الصين إن شاء الله. هذا البحث هو أول ما أكتب في هذا المجال و بداية جهدي فيه فله أهمية كبيرة بالنسبة لي و لدراستي، و إن كنت أقرّ- مقدماً - بضعفي، و قلة علمي، و قد رجوت من الله أن يسدد خطاي بإرشادات أساتذتي – جزاهم الله خير الجزاء.

محتويات البحث:

هذا البحث يحتوي على المقدمة و التمهيد و فصلين والتذييل وخاتمة.

المقدمة:

سأذكر فيها أسباب اختياري لهذا الموضوع و أهميته بالإضافة إلى العرض السريع لمحتويات البحث.

التمهيد:

هو عرض لقصة داود و سليمان عليهما السلام.

أولا سوف أجمع كل أرقام الآيات التي ترد فيها قصتهما من السور المتفرقة و أرصدها حسب ترتيبها في المصحف، ثم أذكر مجمل هذه القصة معتمدا على النص القرآني، و أقوال العلماء و المفسرين، فمن خلال عرضي للقصة سيتبين الجو العام الذي كان يعيش فيه النبيان الكريمان و البيئة الخاصة قبل نبوتهما و بعدها، بالإضافة إلى تقديم الأحداث المهمة التي مرا بها، و كل هذه المعلومات سوف تضيئ لنا سبيل فهم القصة.

الفصل الأول: تحليل النظم لقصة داود

فيه دراسة تحليلية لقصته في ضوء علم البلاغة، و في الغالب سأعتمد على ما قاله العلماء و المفسرون خائفا من أن أقع في خطأ لأن ما أدرسه هنا هو قصة من قصص القرآن الذي يجب ألا يقال فيه إلا بعلم.

مثلا إن تقديم جزء على جزء آخر في نظم القرآن له معنى خاص و فائدة دقيقة، كما قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، و يفضي بك إلى لطيفة، و لا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه و يلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك و لطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، و حُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان."[1]

قال الله تعالى في سورة الأنبياء:" وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ"[2]، لو نسأل: لماذا قُدِّمت الجبال على الطير هنا؟ فما سره؟ الجواب هو ما قاله الزمخشري في الكشاف: "لأن تسخيرها و تسبيحها أعجب و أدل على القدرة و أدخل في الإعجاز، لأنها جماد و الطير حيوان، إلا أنه غير ناطق."[3]

هكذا أسير على هذه الطريقة في هذا الفصل مع بيان المسائل البلاغية التي تتعلق بالقصة، بالإضافة إلى بيان دور السياق في فهم القصة و مناسباتها مع السور المتعددة التي وردت فيها. سأشرح قصته آية بعد آية حتى أستخرج ما يتضمن فيها من أسرار البلاغة و المقاصد خلف الآية.

الفصل الثاني: تحليل النظم في قصة سليمان

سوف أسير في هذا الفصل على نفس المنهج و الأسلوب مع الفصل السابق بإذن الله.

ثم التذييل عن العبر و الدروس المفادة من قصة داود و سليمان.

---

[1] دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني،مكتبة الخانجي بالقاهرة،1987م، ص 107
[2] سورة الأنبياء، آية 79
[3] تفسير الكشاف،الطبعة الأولى،1998م، مكتبة العبيكان بالرياض، ج 4، ص 158

و الأخير هو الخاتمة فيها أهم النتائج لهذا البحث و خلاصته

التمهيد

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، و على آله و صحبه أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، و بعد:

قد وردت قصة داود و سليمان في خمس سور، و هي سورة البقرة آية 102 و آية 246-251، سورة الأنبياء آية 78-82، و سورة النمل آية 15-44، و سورة سبأ آية 10-14، سورة ص آية 17-40.

الآن أعرض قصتهما في ضوء القرآن مستهديا بأقوال العلماء و المفسرين:

قصة داود عليه السلام:

1- بداية قصته[1]:

قد مضت قرون بعد وفاة موسى عليه السلام، و في هذه الفترة كان بنو إسرائيل ينصبون على غزوات الدول المجاورة، و بعث الله فيهم الأنبياء قضاة بينهم و حكموا بشرائع الله.

و كان من هولاء الأنبياء نبي اسمه صمويل، كان له ولدان عينهما للقضاء و لكن لم يعدلا، فخاف بنو إسرائيل من فسادهما بعد صمويل، فشكوا لديه

[1] هذه القصة في سورة البقرة، آية 246-251

و طلبوا منه أن يعين لهم ملكا عدلا بعده حتى يتبعوه و ينقادوا له في غزو أعدائهم من الفلسطينيين الذي يفوقونهم عددا و قوة.[1]

فقالوا: " ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ "[2]. و لكن صمويل كان خبيرا بعاداتهم و طبائعهم فتوقع منهم عدم الوفاء بما تعهدوا به، فقال: " هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا"[3]. فأنكر بنو إسرائيل هذا التوقع مظهرين له أن الظروف تجبرهم على القتال فقالوا له: "وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا"[4]. و لكن الواقع هو أثبت ما توقعه صمويل، و في ذلك يقول الله تبارك و تعالى: " فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ"[5]، بعد سؤال النبي ذلك بعث الله طالوت ملكا.

طالوت هو شاب من بني إسرائيل جميل الخلق و حسن الصورة، زاده الله بسطة في العلم و الجسم و لكن لم يؤت سعة من المال، فاعترض على ملكه بنو إسرائيل قائلين: " أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ"[6]. فرد النبي عليهم:" إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"[7].

ثم بين صمويل لهم علامة بركة ملكه و هي رجوع التابوت إليهم حاملة له الملائكة و هو صندوق التوراة، و كان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه

---

[1] تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن و السنة النبوية، الدكتور محمد الطيب النجار، الطبعة الثالثة 1981م، دار الاعتصام، ص 241
[2] بورة البقرة، آية246
[3] الآية نفسها
[4] الآية نفسها
[5] سورة البقرة، آية 246
[6] سورة البقرة، آية 247
[7] الآية السابقة نفسها

فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل فلا يفرون. و كان ذلك آية لاصطفاء الله الطالوت.[1]

" وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"[2]

ثم ظهرت آية الله فجاءهم التابوت تحمله الملائكة، و لا شك أن هذه معجزة رائعة و دليل واضح على قدرة الله و صلاح ملك طالوت.

و عاش طالوت فترة من الزمان، و وقعت بينه و بين أعدائه حروب هائلة. و كان طالوت قد أعد جيشا ممن ثبتوا على العهد، و صمموا على قتال الأعداء. و قد ابتلاهم طالوت بنهر كي يعرف مدى عزيمتهم و قوة إيمانهم حيث قال: " إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ "[3].

و سبب هذا البلاء كما شرحه سيد قطب في تفسيره أنه لابد من قوة كامنة في ضمير الجيش عند مواجهة الجيش الغالب، وهذه القوة الكامنة لا تكون إلا في الإرادة، فلا بد للقائد المختار إذن أن يبلو إرادة جيشه و صموده و صبره حتى من هو له إيمان متين و ثقة بالله وطيدة، و من يستطيع أن يتحمل ويلات الحروب و أهوالها.[4]

" فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ"، فبهذا الطريق عرف القائد بذرة الضعف في جيشه و فصلهم عن الجيش، لأن قوة الجيوش "ليست بالعدد الضخم، و

---

[1] تفسير الكشاف، ج 1، ص 473
[2] سورة البقرة، آية 248
[3] سورة البقرة، آية 249
[4] في ظلال القرآن لسيد قطب، الطبعة الشرعية الثانية و الثلاثون 2003م، دار الشروق، المجلد الأول، ص 268

لكن بالقلب الصامد، و الإرادة الحازمة، و الإيمان الثابت المستقيم على الطريق.

و لما تراءى الجيشان و ظهرت قوة جالوت، وما أعده للقاء طالوت من العدة و البأس الشديد، قالوا: " لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ"[1]، ثم قال المؤمنون المخلصون الذين يعتقدون أنهم ملاقو الله: " كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ"[2]. إذن هولاء كانوا يعرفون أن القوة ليست في العدد و لا في البأس الشديد لكن في العزيمة الصامدة و بعون الله تبارك و تعالى. فوجدوا أن ليس هنا ملجأ إلا إلى الله، فدعوا الله أن ينصرهم على الأعداء الكافرين، قالوا: " رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"[3]. فأجاب الله دعاءهم و نصرهم في الحرب فهزموهم بإذنه و قتل داود جالوت. يذكر الله هذا الواقع في القرآن:" فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ"[4].

قال سيد قطب في قتل داود جالوت: "و داود كان فتى صغيرا من بني إسرائيل. و جالوت كان ملكا قويا و قائدا مخوفا، و لكن الله شاء أن يرى القوم وقتذاك أن الأمور لا تجري بظواهرها، إنما تجري بحقائقها. و حقائقها يعلمها هو و مقاديره في يده وحده". " و كانت هنالك حكمة أخرى مغيبة يريدها الله. فلقد قدر أن يكون داود هو الذي يتسلم الملك بعد طالوت.

---

[1] سورة البقرة، آية 249
[2] الآية نفسها
[3] سورة البقرة، آية 250
[4] سورة البقرة، آية 251

و يرثه ابنه سليمان فيكون عهده هو العهد الذهبي لبني إسرائيل في تاريخهم الطويل."[1]

كان داود عليه السلام يرمي بالمقلاع، فوضع حجرا في مقلاعه و رمى به جالوت فأصابه ففلق رأسه و فر جيشه منهزما.

2- نسب داود عليه السلام و فضائله:

هو داود بن إيشى، نبي الله، ينتهي نسبه إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، و قد أصبح ملكا بعد قتل جالوت، و جمع الله له الملك و النبوة، كما قال الله تعالى في الكتاب العزيز: " وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ"[2].

قد آتاه الله زبورا، كما قال الله سبحانه: " وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا"[3].

كان داود يردد آياته حينما بلغها الناس، و أعطاه الله الصوت الجميل، فيردد معه كل ما حوله من الجبال و الطير، يقول الله سبحانه: " إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ"[4].

و يقول: " وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَ كُنَّا فَاعِلِينَ"[5].

و في سورة سبإ يقول الله: " وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ"[6].

---

[1] في ظلال القرآن، المجلد 1، ص 270
[2] سورة البقرة، 251
[3] سورة النساء، آية 163
[4] سورة ص، آية 18-19
[5] سورة الأنبياء، آية 79
[6] سورة سبإ، آية 10

في بداية هذه الآية ذكر الله أنه أعطى داود فضلا ثم قال أنه ألان الحديد له، فمن هذا السياق نعرف أن إلانة الحديد أيضا مما فضله الله به على العالمين. قال الزمخشري مفسرا لهذا: "و جعلناه لينا كالطين و العجين و الشمع، يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار و لا ضرب بمطرقة."[1]

ثم قال الله تعالى: " أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ"[2].

قال المفسرون أن السابغات هي الدروع الواسعة الضافية، كانت قبل صفائح، و هذا سهل للبس و يحمي الناس من البأس الشديد، و هذا أيضا من فضل الله عليه و على العالم. كما قال الله في سورة أخرى:" وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ "[3].

و من فضل الله عليه أن الله جمع له الملك و النبوة و أيده بالقوة و الحكمة و فصل الخطاب. يقول الله في هذا:" وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ"[4].

3- امتحان الله لداود:

و يقص الله علينا في كتابه قصة داود مع الخصم الذين تسوروا المحراب لطلب الحكم بينهم، فلما عرضت عليه قضيتهم تسرع في حكمه بعد استماع حجة طرف دون طرف آخر، فحكم لمصلحة الذي سمع حجته. فكان ذلك خطأ منه، ثم عرف أن هذا من امتحان الله له، فاستغفر ربه و خر راكعا له و أناب إليه، فغفرالله له و يقول عز و جل في هذا: " وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ

[1] الكشاف، ج 5، ص 111
[2] سورة سبإ، آية 11
[3] سورة الأنبياء، آية 80
[4] سورة ص، آية 20

خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ"[1].

4- خليفة الله في أرضه:

الحاكم خليفة الله في أرضه، عليه أن يحكم بين الناس بالحق، حتى يبني للناس المجتمع السعيد و البيئة الآمنة و يجعل الناس يعيشون معه في جو مملوء بالسلام و الطمأنينة، و يدفع الخواطر و المصائب عن مجتمعه. فيقول الله سبحانه: "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ"[2].

قصة سليمان عليه السلام:

1- نسب سليمان:

هو نبي ابن نبي، سليمان بن داود، ينتهي نسبه إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام كما سبق ذكره في قصة داود عليه السلام.

---

[1] سورة ص، آية 21-25
[2] سورة ص، آية 29

لم يذكر القرآن نشأته و لا دعوته في قومه، و أول ما ننظر إليه من خصائصه هو ذكاؤه و بُعد نظره في قصة حكمه في الحرث الذي أكلته غنم القوم، إذ قال الله تعالى: " وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا "[1].

قال المفسرون في تفصيل هذه القصة: إن رجلين دخلا على داود، أحدهما صاحب الحرث، و الآخر صاحب الغنم، فقال صاحب الحرث: "إن غنم هذا قد نفشت في حرثي فلم يبق منه شيء." فحكم داود لصاحب الحرث أن يأخذ غنم خصمه في مقابل حرثه، و مر صاحب الغنم بسليمان، فأخبره بقضاء داود. فدخل سليمان على أبيه فقال: "يا نبي الله إن القضاء غير ما قضيت." فقال: "كيف؟" فقال: "ادفع الغنم إلى صاحب الحرث لينتفع بها و ادفع الحرث إلى صاحب الغنم ليقوم عليه حتى يعود كما كان، ثم يعيد كل منهما إلى صاحبه ما تحت يده، فيأخذ صاحب الحرث حرثه و يأخذ صاحب الغنم غنمه." فقال داود: "القضاء ما قضيت و أمضي حكم سليمان."[2]

و قال سيد قطب في هذا: "لقد اتجه داود في حكمه إلى مجرد التعويض لصاحب الحرث، و هذا عدل فحسب، و لكن حكم سليمان تضمن مع العدل البناء و التعمير، و جعل العدل دافعا إلى البناء و التعمير. و هذا هو العدل

---

[1] سورة ص، 78-79
[2] في ظلال القرآن، المجلد 4، ص 2389

الحي الإيجابي في صورته البانية الدافعة، و هو فتح من الله و إلهام يهبه من يشاء."[1]

و هذه القصة خير دليل على قمة ذكاء سليمان و سعة عقله و بعد نظره مما هيأه للنبوة.

2- معجزات نبوته عليه السلام:

معرفته بمنطق الطير: حكى الله لنا هذا بلسان سليمان: " وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ"[2].

قال صاحب تفسير التحرير و التنوير في هذا : علم منطق الطير أوتيه سليمان من طريق الوحي بأن أطلعه الله على ما في تقاطيع و تخاليف صفير الطيور أو نعيقها من دلالة على ما في إدراكها و إرادتها، و فائدة هذا العلم أن الله جعله سبيلا له يهتدي به إلى تعرف أحوال علمية يسبق الطير إلى إدراكها بما أودع فيه من القوى الكثيرة، و للطير دلالة في تخالف أجناسها و استدعاء أصنافها و الإنباء بما حولها ما فيه عون على تدبر ملكه و سياسة أمته مثل استجدام نوع الهدهد في إبلاغ الأخبار و ردها و نحو ذلك.[3]

معرفته بلغة الحشرات:

و قد سجل ذلك في قوله: " حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ

[1] في ظلال القرآن، المجلد 4، ص 2389
[2] سورة النمل، آية 16
[3] تفسير التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور، ج 19، ص 236

ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ"[1].

تسخير الرياح له:

و قد سخر الله له عليه السلام الرياح لخدمته كما يشاء، قال الله تعالى في القرآن: " وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ"[2]. و قال الله في سورة أخرى: " فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ"[3].و قال في سورة الأنبياء: " وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ"[4].

تسخير الجن و الشياطين له:

عالم الجن من الغيبيات لأنه خاف عن إدراك الناس، لا نعرف حقيقته إلا ما جاءنا من القرآن و الأحاديث، و لكن مما لا ريب فيه أن وجود الجن أمر معلوم من الدين.

و قد سخر الله الجن لسليمان تعمل بين يديه بإذن ربه، و في ذلك قال الله سبحانه في سورة الأنبياء: " وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ"[5].

و قال الله تعالى في سورة أخرى مبينا أن الجن من جنود سليمان: "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنس وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ"[1].

---

[1] سورة النمل، آية 18-19
[2] سورة سبإ، آية 12
[3] سورة ص، آية 26
[4] سورة الأنبياء، آية 81
[5] سورة الأنبياء، آية 82

و في سورة سبإ: " ۞وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍۚ"[2].

و أيضا يقول: " وَ الشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَ غَوَّاصٍ وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ"[3].

3- سليمان و الصافنات الجياد و فتنته و إلقاء الجسد على كرسيه:

يقول الله عز و جل في هذا: " إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ "[4].

في تفصيل هذه القصة روايات كثيرة، قال بعض المفسرين أن سليمان استعرض خيلا له بالعشي، ففاتته صلاة كان يصليها قبل الغروب، فقال: ردوها علي، فردوها عليه فجعل يضرب أعناقها و سيقانها جزاء ما شغلته عن ذكر ربه.

أما قصة فتنته فيبينها الدكتور محمد الطيب النجار في كتابه تاريخ الأنبياء بأن أصح الروايات حولها و أميلها إلى النفس هو أن سليمان قد فتن

---

[1] سورة النمل، آية 17
[2] سورة سبإ، آية 12-13
[3] سورة ص، آية 37-38
[4] سورة ص، آية 31-34

بالمرض حتى صار لضعفه كأنه جسد هزيل ملقى إلى كرسيه، ثم أناب أي رجع إلى حال الصحة و العافية فاستغفر الله شاكرا لفضله و رحمته.[1]

و لكن أستاذنا سيد قطب يشير في تفسيره إلى عدم طمأنينة قلبه إلى هذه الروايات كلها. و هو تحدث عن هذه الروايات بأنها إما إسرائيليات منكرة و إما تأويلات لا سند لها، ثم قال: "و كل ما نخرج به هو أنه كان هناك ابتلاء من الله ليوجههم و يرشدهم و يبعد خطاهم عن الزلل، و أن سليمان أناب إلى ربه و رجع، و طلب المغفرة و اتجه إلى ربه بالدعاء و الرجاء."[2]

4- سليمان و ملكة سبأ:

يتحدث القرآن عن تلك العلاقة بين سليمان و ملكة سبأ باليمن، و كيف دعاها إلى الله رب العالمين.

و في ذلك يقول الله سبحانه في سورة النمل: " وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ

[1] تاريخ الأنبياء، ص 255
[2] في ظلال القرآن، المجلد 5، ص 3020

وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[1]

لا ريب في أن هذه الآيات الكريمة تحكي لنا قصة من أجمل قصص القرآن لا تحتاج إلى شرح و لا توضيح لأنها تصورها بدقة و تفصيل. و لكن سأشرحها من الناحية البلاغية فيما بعد إن شاء الله.

5- موت سليمان عليه السلام:

[1] سورة النمل، آية 20-44

كان العرب يقدسون الجن و يعظمون شأنها و يتخذونها وسيطا بينهم و بين الله، و يظنون أن الجن تعرف الغيب. ففي قصة موت سليمان رد عليهم. سجل القرآن أن الجن فوجئت بموت سليمان ، لا تعرف موته إلا بعد أن أكلت دابة الأرض عصاه التي يستند إليها، فخر واقعا على أثر ذلك، و حينئذ عرفت الجن أنه مات، و أنهم لو كانوا يعلمون الغيب لما وقعوا في عذاب العمل لحظة واحدة بعد موته عليه السلام.

فقال الله في هذا: " فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ"[1].

كل ما سبق من الحديث هو مجمل قصة داود و سليمان عليهما السلام، سوف أشرحها شرحا بلاغيا وافرا في الفصلين القادمين إن شاء الله. و بالله العون و التوفيق.

[1] سورة سبإ، آية 14

قد أرسل الله رسله وأنبياءه عليهم السلام إلى قومهم ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له، وليحكموا بينهم بالحق ويرشدوهم إلى صراط الله المستقيم. فهذه القصص التي يذكرها الله في القرآن تعطينا دروسا كثيرة، فلابد من استقراء هذه القصص واستخراج ما فيها من المعاني الخفية و الفوائد الكبيرة.

فالآن أحاول أن أحلل قصة داود وسليمان عليهما السلام تحليلا بلاغيا يكشف عن الخصائص البلاغية في نظوم القصة التي تتبين لنا وجوه الإفادة بها و ندرك مقاصده عز وجل من هذه القصة.

و هذا يكون في فصلين :

الفصل الأول : تحليل النظم في قصة داود عليه السلام .

الفصل الثاني : تحليل النظم في قصة سليمان عليه السلام .

الفصل الأول :

تحليل النظم في قصة داود عليه السلام

الحلقة الأولى : حكمهما في الحرث

يقول الله تعالى : " وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ"[1]

هذه القصة وردت في سورة الأنبياء، وسبب تسميتها بسورة الأنبياء ظاهر واضح، لأن فيها قصص الأنبياء و فضائلهم و صبرهم و ثباتهم وما جرى لهم مع أقوامهم وتأييد الله تعالى لهم، حتى يبين الله معالم التوحيد و يثبت المعاد في دعوة الأنبياء و موقف الناس من ذلك[2]. فمن هنا نعرف علاقة قصة داود و سليمان هنا بهذه السورة و بمحور هذه السورة .

فتتحدث هذه الآية عن النعمة التي أنعم الله بها على النبيين داود و سليمان عليهما السلام حيث أعطاهما العلم الذى به يحكمان بين الناس بالعدل و الإحسان .

فاستهلت هذه الحلقة بقوله تعالى " وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ " وهو معطوف على قوله تعالى " وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ" وهذه البداية تتلاءم مع بداية القصص المذكورة قبلها و بعدها.

هذه الآية جمعت الأسلوبين المتقالبين و هما الإيجاز و الإطناب.

الأول هو الإيجاز بالحذف يعني "واذكر داود و سليمان".

---

[1] سورة الأنبياء، آية 78

[2] التفسير الموضوعي لسور القرآن، المجلد 5، ص 2 و 54

و "كنا لحكمهم شاهدين" الجملة اعتراض مقرر للحكم و هذا أسلوب من أساليب الإطناب يفيد مزيد الاعتناء بشأنه، ويبين الله أنه لا يخفى عليه شيء و لا يغيب عنه عمله .

"لحكمهم" هنا يجوز أن يكون الجمع للتعظيم.

"إذ يحكمان" فيه استعارة تبعية في زمان الفعل، صيغة المضارع حكاية للحال الماضية فكان مقتضى الظاهر أن يقال "حكما"، لكن تعبير القرآن جاء بالمضارع لاستحضار صورة الحكم و أن تكون حاضرة في الذهن، ماثلة في الخيال، فيكون هذا أبلغ و أدعى إلى النظر إليه و التفكير فيه.

قد ذكر الله فضائل نبيه داود عليه السلام في عدة مواضع :

الأول في سورة الأنبياء، إذ قال الله تعالى "وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ "[1].

"مع" ظرف متعلق بالفعل "يسبحن" و قدم على متعلقه للاهتمام به و لإظهار كرامة داود، و هذا تقديم الظرف على متعلقه .

هنا أيضا نوع آخر من التقديم وهو تقديم في الذكر و ليس تقديما في الرتبة النحوية، تقديم الجبال على الطير، و سبب تقديمها كما شرحه الزمخشري: "لأن تسخيرها و تسبيحها أعجب و أدل على القدرة و أدخل في الإعجاز، لأنها جبال و الطير حيوان إلا أنه غير ناطق."[2]

" يسبحن " جملة استئنافية، وهو أسلوب شبه كمال الاتصال، من موجبات الفصل، و معنى هذا أن تأتى الجملة الثانية جوابا عن سؤال تثيره الجملة الأولى، كأن هنا قائلا قال: "كيف سخرهن الله؟" فقال "يسبحن" و يجوز أن تكون حالا من الجبال، و التقييد بالحال لإبراز هذه الحالة العجيبة فى الجبال و هى حالة التسبيح .

" وكنا فاعلين " أى قادرين على أن نفعل هذا و إن كان عجبا عليكم. الجملة اعتراض لإزالة استبعاد تسبيح الجبال و الطير معه، إشارة إلى أن ذلك شأن ثابت و سهل على الله .

"و علمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم..." في هذه الجملة أسلوب التكرار، إعادة حرف الجر اللام لتأكيد الاختصاص و لبيان كيفية الاختصاص و المنفعة المستفادة من لام "لكم"، و فيها توضيح لنعمة الله على الناس و اختصاص هذه النعمة بهم .

---

[1] سورة الأنبياء، آية 79-80

[2] الكشاف، ج 4، ص 158

"فهل أنتم شاكرون" فهذا أسلوب إنشائي استفهامي، يفيد المبالغة و التقريع، و أيضا فى هذه الجملة دخلت "هل" على الجملة الاسمية خروجا على الأصل في استفهامها، لو نقارن بينها و بين "فهل تشكرون" سنعرف أن سبب العدول عن الفعلية إلى الاسمية هو ما تقتضيه الاسمية من معنى الثبوت والاستمرار، و أما الفعلية فليس لها هذا المعنى الدقيق، فالجملة الفعلية تفيد التجدد و الحدوث.

فالأصل فى "هل" أن تدخل على الجملة الفعلية، لأن لها مزيد الاختصاص بالفعل، فهي لطلب التصديق و التصديق أكثر لصوقا بالفعل، فالعدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية لإفادة نكتة بلاغية و هي إبراز ما يتجدد في معرض الثابت الدائم، و لهذا كان دخول "هل" على الجملة الاسمية أدل على طلب الشكر من قولنا: فهل تشكرون.[1]

و الاستفهام في هذه الجملة قصد به الأمر، أي اشكروا، و هذا هو شأن الاستفهام إذا كان صادرا من الحق سبحانه فلا يقصد به الاستفهام المحض و إنما يقصد به معاني أخرى بحسب السياق.

و الموضع الثاني في سورة النمل:

" وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ "[2].

هذه الآية من سورة النمل، تهتم هذه السورة بنواحي العقيدة وأصول الإيمان من توحيد الله عز و جل، و تصف "هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين. بالفصل بين الصراط المستقيم و طريق الحائرين ، و الجمع لأصول الدين، لإحاطة علم منزله الخفي و المبين، و بشارة المؤمنين و نذارة الكافرين يوم اجتماع الأولين و الآخرين، و كل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة، فالمقصود الأعظم منها إظهار العلم و الحكمة."[3]

---

[1] الإيضاح، ص109
[2] سورة النمل، آية 15
[3] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، ج 14، ص 123

ثم نجد أن قصة داود و سليمان عليهما السلام بما فيها من ذكر نعمة الله عليهما من العلم و الحكمة و النبوة و قصة سيدنا سليمان مع النمل و ملكة سبأ خير تمثيل لمحور السورة و حسن تعبير لمقصودها و هذه القصة تأتي بعد قصة موسى عليه السلام و هما من أتباعه، فهذه سلسلة كاملة حديثها يدور حول المحور الأساسي و هو الدعوة إلى الله بالعلم و الحكمة و الهداية لله عز و جل.

"و لقد آتينا" أسلوب خبري، مفتتح الجملة بلام القسم و حرف التحقيق لتنزيل المخاطبين به منزلة من يتردد في ذلك لأنهم أنكروا النبوة، و هذا لإظهار كمال الاعتناء بمضمونه، وهو العلم الذى لم يعطه الله لعباده الآخرين.

"و قالا الحمد لله" من مقتضى الظاهر هنا التعبير بالفاء دون الواو، كقولنا: أعطيته فشكر، منعته فصبر، ولكن جاء التعبير بالواو ليبين بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم و شيء من موجبه، فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد، كأن الحمد على النعمة أيضا من جنس النعمة، فى الآية دليل على شرف العلم و تقدم أهله و أن نعمة العلم من أجل النعم. و التصريح بتفضيل الله لهما على عباده المؤمنين من باب التواضع و ليس كبرا و لا افتخارا[1].

و تنكير "علما " للتعظيم لأنه علم نبوءة و حكمة كقوله في صاحب موسى " و علمناه من لدنا علما "[2].

و حكاية قولهما "و الحمد لله الذي فضلنا" كناية عن تفضيلهما بفضائل غير العلم. و التعبير بـ"الحمد لله" فيه أسلوب قصر، طريقه تعريف الطرفين، فالحمد مقصور على الله لا يشاركه فيه غيره.

و الموضع الثالث فى سورة سبإ:

---

[1] الكشاف، ج 4، ص 435

[2] التفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 234

يقول الله تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "[1].

تدور هذه السورة حول قضية البعث و التركيز على إحاطة علم الله و شموله و لطفه.

قال سيد قطب: "موضوعات هذه السورة المكية هي موضوعات العقيدة الرئيسية : توحيد الله، و الإيمان بالوحي، و الاعتقاد بالبعث، و إلى جوارها تصحيح بعض القيم الأساسية المتعلقة بموضوعات العقيدة الرئيسية. وبيان أن الإيمان و العمل الصالح –لا الأموال و لا الأولاد – هما قوام الحكم و الجزاء عند الله. و أنه ما من قوة تعصم من بطش الله ، و ما من شفاعة عنده إلا بإذنه.

و التركيز الأكبر فى السورة على قضية البعث و الجزاء، و على إحاطة علم الله و شموله و لطفه . و تتكرر الإشارة فى السورة إلى هاتين القضيتين المترابطتين بطرق متنوعة، و أساليب شتى، و تظلل جو السورة كله من البدء إلى النهاية."[2]

فلقصة داود و سليمان هنا صلة قوية بمحور السورة، تأويب الجبال و الطير معه و إلانة الحديد بين يديه، و ريح سليمان و إسالة الله له عين القطر، و الجن سخرهم الله له ليعملوا بين يديه ما شاء من الأعمال الشاقة، كل هذه الأشياء تدل على قدرة الله تبارك و تعالى، أليس القادر على هذه الأمور الخارقة قادرا على أن يحيي الأموات؟ فقصة داود و سليمان خير دليل على إمكانية البعث، و أقوى ردا على الكفار الذين أنكروا البعث و قد سبق ذكرهم فى السورة، فأخبرهم الله بوقوع ما هو مستحيل فى العادة مما لا يمكنهم إنكاره.

"و لقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه و الطير"، فما الفرق بين هذا النظم و بين أن يقال "آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه و

---

[1] سورة سبإ، آية 10-11

[2] في ظلال القرآن، المجلد 5، ص 2888

الطير"؟ ففي نظم القرآن تنزيل الجبال منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم الله أطاعوا و أذعنوا و إذا دعاهم سمعوا و أجابوا، إشعارا بأنه ما من حيوان و جماد إلا و هو منقاد لمشيئة الله و غير ممتنع على إرادته، و هذه هى الفخامة التى لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية و كبرياء الإلهية.[1]

"منا" فيه نسبة الفضل إلى الله نفسه، لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الإضافية و تقديمه على المفعول الثاني"فضلا" للاهتمام بالمقدم و التشويق إلى المؤخر، و هو في الأصل صفة لـ" فضلا " و تنكير "فضلا" للتفخيم و التعظيم.

و في قوله تعالى" أن اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ " أسلوب التفات من الغيبة في قوله " وَأَلَنَّا لهُ الحَدِيدَ " إلى الخطاب، و فائدة الالتفات تطرية نشاط المخاطب و تنبه الذهن إلى أهمية هذه الصنعة.

"إني بما تعملون بصير" الجملة اعتراض تعليل للأمر و وجوب الامتثال به، و هذه جملة خبرية، و قبلها جملة إنشائية فبين هاتين الجملتين كمال الانقطاع و هذا من موجبات الفصل، و فصلت جملة "أن اعمل سابغات" عن جملة "و ألنا له الحديد" للاستئناف البياني، حيث وقعت الجملة جوابا عن سؤال مقدر من جملة " ألنا له الحديد " تقديره: ما فائدة إلانة الحديد له؟

الموضع الرابع فى سورة ص :

يقول الله تعالى : " اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ"[2].

ذكر الله فى بداية هذه السورة استخفاف المشركين بالدين و أذاهم للرسول، بعد هذا أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه و سلم بالصبر على أذاهم، و ذكر قصصا للأنبياء داود و سليمان و غيرهما، و فتنتهم فصبروا حتى

---

[1] الكشاف، ج 5، ص 110
[2] سورة ص، آية 17-20

فرج الله عنهم و صارت عاقبتهم أحسن عاقبة. من هنا نعرف مناسبة ذكر قصة داود و سليمان عليهما السلام فى هذه السورة.[1]

"ذا الأيد إنه أواب" قال المفسرون أن ذا الأيد هو قوة في الدين، لأن الجملة بعدها تعليل لها، و تعبير كناية عن شدة قوته في أمر الدين. "أنه أواب" الجملة استئنافا بيانيا لأنها وقعت جوابا عن سؤال دلت عليه الجملة الأولى، تقديره: لم تأمرني بذكر داود عقب الأمر بالصبر؟ فكأن الجواب: إنه أواب.

"إنا سخرنا الجبال معه" جملة عطف بيان، بينها و بين ما قبلها كمال الاتصال، سيق لتعليل قوته فى الدين و أوابيته إلى مرضاة الله.

" يسبحن " استئناف بياني وقع جوابا للسؤال الذى تثيره الجملة قبلها، أي يبين كيفية التسخير. والأولى أن تعرب حالا لتتفق مع حالة الطير"محشورة".

إذا قارنا بين هذا النظم و "مسبحات" نعرف أن تعبير القرآن بالفعل المضارع بدل الاسم " مسبحات " هوأفضل وأبلغ في البيان، لأن الجملة في القرآن تقع حالا لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال ، وأما الاسم " مسبحات " فليس له هذا المعنى الدقيق، فهو يفيد الثبوت و الدوام.

ويستفاد من المخالفة في صيغة الحال فى جانب الجبال حيث جاءت جملة فعلية "يسبحن" و في جانب الطير حيث جاءت الحال مفردة "محشورة" أن التسبيح و هو حال الجبال يتجدد و يحدث وقتا بعد وقت و حالا بعد حال. أما الحشر في جانب الطير فهو ثابت و دائم و يحدث دفعة واحدة و في وقت واحد، و هذا أدل على كمال القدرة لأن حشر جميع أجناس الطير دفعة واحدة و في وقت واحد لا يكون إلا من القدير على كل شيئ.

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،إعداد نخبة من علماء التفسير و علوم القرآن، بإشراف أ.د. مصطفى مسلم،دار الشارقة 2010م، المجلد 6، ص 446

"كل له أواب" تقديم المجرور له على متعلقه "أواب" للاهتمام بالضمير المجرور و لإظهار مكانة داود عند الله و كرامته. وأن هذا التأويب له خاصة دون غيره من الناس.

الحلقة الثالثة : فتنته في الحكم :

يقول الله تعالى بعد ذكر فضل داود عليه السلام في سورة ص :

"وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ".[1]

" هل " استفهام قصد به التشويق إلى سماع هذا النبأ، سره البلاغي هو أنه جاء لتوكيد الخبر بعده، والدلالة على أن هذا الخبر من الأنباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد، وفيه التشويق إلى استماعه.

" قالوا لا تخف " جملة استئنافية، تقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه، فبينها و بين ما قبلها شبه كمال الاتصال، من موجبات الفصل. و كأن سائلا سأل: ماذا قالوا له عندما وجدوه فزعا منهم؟ فكان الجواب: قالوا لا تخف...

" خصمان بغى بعضنا على بعض " هنا محذوف ، وهو " نحن" أي " نحن خصمان " و هو إيجاز بحذف المسند إليه و قد استغني عن ذكره بدلالة ما ظهر من الكلام عليه .

العنصر الأهم للإيجاز أن يكون المعنى وافيا كاملا به، فالإيجاز إذن قصر اللفظ مع وفاء المعنى وهوغاية تتطلب أوضاع المخاطبين، كما قيل : لكل مقام مقال، فقد يتطلب المقام هنا الإيجاز، فيكون الإيجاز بلاغة.

فمن هنا نستطيع أن نستخرج السر البلاغي فى هذا الحذف، إذ فزع داود عليه السلام من دخولهم، فهو في حاجة إلى معرفة سبب دخولهم حتى يخفف فزعه و يطمئن قلبه، فهذا المقام يتطلب الإيجاز في تقديم السبب، فجاء بالحذف وبين مباشرة سبب دخولهم عليه و هو الخصم. فهذا التعبير فى هذا المقام أبلغ و أدق في الوفاء بالمعنى.

" بغى بعضنا على بعض " لم يبين الخصمان من هو الباغي منهما لأن مقام تسكين روع داود يقتضي الإيجاز و الإجمال، ثم يعقبه التفصيل، وهذا

---

[1] سورة ص، آية 21-22

من إظهار الأدب مع الحاكم فلا يتوليان تعيين الباغي منهما، بل يتركانه للحاكم يعين الباغي منهما في حكمه. فجملة " بغى بعضنا على بعض " صفة لحضمان ولصفة هنا قصد بها تأكيد معنى الخصومة، إذ من شأن الخصومة أن يبغى بعضهم على بعض.

و النهي في "لا تشطط" مستعمل في التذكير و الإرشاد.

و مخاطبة الخصم داود بهذا أخرج مخرج الحرص على إظهار الحق، و هو في معنى الذكرى بالواجب، فلذلك لا يعد مثله جفاء للحاكم و القاضي، و هو من قبيل: اتق الله في أمري. و صدوره قبل الحكم أقرب إلى معنى التذكير و أبعد عن الجفاء، فإن وقع بعد الحكم كان أقرب إلى الجفاء.[1]

"واهدنا إلى سواء الصراط " في هذه الجملة استعارة للبيان و إيضاح الصواب، و" سواء الصراط " مستعار للحق الذي لا يشوبه باطل لأن الصراط الطريق الواسع. والسواء منه هو الذي لا التواء فيه، ولا شعب يتشعب منه فهو أسرع إيصالا إلى المقصود باستوائه، و أبعد عن الالتباس بسلامته من التشعب.[2]

هذا الأسلوب كثير في القرآن، كقوله عز و جل: "اهدناالصراط المستقيم"[3]، وقوله: "وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ"[4]. و مجموع هذا الأسلوب تمثيل لحال الحاكم بالعدل بحال المرشد الدال على الطريق الموصل، من هذه الآية نعرف أن حكم القاضي العدل يحمل على الجري على الحق و أن حكمه يحمل على الهدي، فلا بد عليه أن يحكم بالحق و العدل.

ثم نجد فيها وصف الصراط بـ"مستقيم"، و هي صفة تلائم المشبه به و هو الصراط، و هذا النوع من الاستعارة يسمى استعارة مرشحة، وهذا النوع أقوى من الإطلاق والتجريد ، لأن الاستعارة كما نعرف مبنية على تناسي التشبيه ودعوى اتحاد المشبه به بالمشبه، فكل ما يؤكد هذا المعنى فهو يقوي الاستعارة ، فذكر الصفة المناسبة للمشبه به يجعل المشبه بعيدا عن

---

[1] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 23، ص 234
[2] التفسير التحرير و التنوير، المجلد 23، ص 234
[3] سورة الفاتح، آية 6
[4] سورة البقرة، آية 213

أذهاننا، و يخيل أن المستعار مستعمل فى حقيقته، لذلك كان التشريح أقوى.[1]

"إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ"[2]

"إن هذا أخي" عطف بيان، بينها وبين ما قبلها كمال اتصال وهذا من موجبات الفصل، هذه الجملة بيان ما فيه الخصومة وتوضيح لقوله تبارك وتعالى: " بغي بعضنا على بعض ".

"أخي" أي أخي في الدين أو في الصحبة، و ذكر هذا الاسم لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه لأنه بغى عليه مع أنه أخوه في الدين، وهذا يقدم لنا أوضح صورة لسوء عمله و أقوى تأثيرا في النفوس.[3]

"لقد ظلمك" هذه الجملة تقع جوابا لقسم محذوف، و هي خبرية مؤكدة باللام و "قد" ليظهر ما فيها من قوة الاستنكار لفعل خليطه و تهجين لطمعه.[4]

"وقليل ما هم" في هذه الجملة أسلوب التنكير، وللتنكير أغراض كثيرة تستدعيها البلاغة، وفي استعمال هذا الاسلوب مراعاة للمقامات التي يقتضيها الحال، ولا نعرف سره إلا إذا تبين لنا سياقه لأن السياق هو الذي يدلنا على معرفه المراد من التنكير. فمن أغراض التنكير التعظيم، والتكثير و التقليل، والنوعية. فمن السياق في هذه الآية نعرف أن الغرض من التنكير هو التقليل، تقديم هذه النكرة للإبهام، وفيه تعجب داود عليه السلام من قلتهم، والغاية خلف هذا الغرض هو إظهار قيمة الإيمان والأعمال الصالحة وشرفها، لأن القليل دائما يكون أشرف من الكثير، وكذلك قوله تعلى: "وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ"[5].

" وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ "

---

[1] البيان في ضوء أساليب القرآن، ص 185
[2] سورة ص، آية 23-25
[3] تفسير أبي السعود، ج 4، ص 569
[4] الكشاف، ج 5، ص 258
[5] سورة سبإ، آية 13

"ظن" مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة، الاستعارة في الفعل فهي استعارة تبعية.

الفاء تفيد التعقيب، ففي هذه الآية فاءان أولاها فيها مسارعة إلى استغفار داود ربه بعد علمه خطأه، وثانيتها تبيين أن الله غفر له فورا بعد استغفاره.

ففي هاتين الفاءين تشجيع على التوبة على الله والاستغفار بعد الخطأ، وأن الله غفور رحيم، وأن نعمته واسعة فلا ييأس أحد من غفرانه لأن الله يغفر لمن يتوب إليه مهما كان خطأه.

"وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب" في هذه الجملة أسلوب القصر، ومن طرق القصر تقديم ما حقه التأخير كما في هذه الآية، في هذه الحالة المقدم هو المقصور عليه دائما والمؤخر هو المقصور، فهنا نرى أن الله قصر "زلفى وحسن مآب" على نبيه داود ، و معنى هذا أن "زلفى وحسن مآب" له لا غيره وعندنا لا عند من سوانا، ولو أنه قال: إن زلفى وحسن مآب له عندنا، لكان المعنى: زلفى وحسن مآب له وللآخرين أيضا، وهذا المعنى لا تقصد إليه الآية الكريمة. قد جاء القرآن بهذا الأسلوب لتعظيم أمر الاستغفار والتوبة وتكريم لداود عليه السلام.

"خر راكعا" أي ساجدا على أن الركوع مجاز عن السجود، وهي استعارة لمشابهة له في الانحناء و الخضوع.[1]

[1] تفسير روح المعاني، ج 23، ص 183

الحلقة الرابعة: خلافته في الأرض

يقول الله تبارك وتعالى: " يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ"[1].

"يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض"، "يا" من أدوات النداء، وهذا أسلوب إنشائي. الجملة في النداء تتكون من الفعل الذي ناب عنه حرف النداء "أدعو" أو "أنادي" و من المنادى، وأما حروف النداء أو أدوات النداء، فإنها تنقسم إلى قسمين: قسم لنداء القريب و قسم لنداء البعيد. "يا" هي أداة من أدوات نداء البعيد، وهي أكثر أدوات النداء استعمالا. ولكن الله قريب من عباده ومع هذا نادى نبيه داود بحرف لنداء البعيد، فما سبب استعمال هذا الحرف هنا؟ وسببه أنه ينزل القريب منزلة البعيد فينادي بإحدى أدواته، ولهذا الإنزال أسباب وفوائد، وسبب إنزال القريب منزلة البعيد بـ"يا" هنا لتدل على أن داود رفيع القدر، عظيم الشأن، ولاستدعاء وعيه، واهتمامه بما سيقال له لأن ما بعد هذا النداء هو شأن عظيم يتعلق بالهدف الأساسي للإنسان في الأرض وهو جعل الله الإنسان خليفة في الأرض.

هذه الجملة هي عطف بيان، بينها و بين ما قبلها كمال اتصال، وهذا من موجبات الفصل، وسبب الفصل هنا ليبين زلفاه عند الله عز وجل.

" فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ" الفاء هنا للتعقيب، وسرها البلاغي هنا أنها تبين أن وظيفة الخلافة في الأرض هي حكم بين الناس بالحق، وأن بين كونه خليفة وحكمه بين الناس بالحق صلة قوية مباشرة وكاد أن يكون هذان الأمران أمرا واحدا، ففي هذا بيان لأهمية الحكم بالحق للخليفة في الأرض و تشجيع الخليفة على الحكم بالحق و ترك الهوى.

---

[1] سورة ص، آية 26

والباء هنا مجازية، جعل الحق كالآلات التي يعمل بها العامل.

والتعريف في "الهوى": ينقسم التعريف بـ"ال" إلى قسمين: فهي إما للعهد و إما للجنس، الفرق بينهما أن لام العهد هي الداخلة على أمر يشعر بمعرفة السامع له، لتقدمه في الذكر صراحة أو كناية أوعلمية، أما "ال" التي للجنس فليس فيها ما يشعره بذلك، إنها تدخل على ماهية الشيء مما لم يسبق للسامع عهد له.[1]

وإذا دخلت "ال" على الجنس فيمكن أن نجد ما يلي:

1- قد يكون القصد الجنس دون نظر للأفراد كما نقول: الرجل خير من المرأة، لا نقصد هنا رجلا معينا أو مرأة معينة، وإنما نقصد جنس الرجل وجنس المرأة، ولا نقصد أن كل رجل خير من المرأة، لأن هناك بعض النساء خيرا من كثير من الرجال.

2- القصد منها فرد غير معين من أفراد الجنس، كمثل قولنا: تصدق على المسكين، لا نقصد مسكينا معينا، وإنما نقصد أي مسكين ثبت له هذا الوصف.

3- القصد منها الاستغراق و هذا الاستغراق قسمان:

أ- حقيقي: يشمل كل الأفراد، كمثل قوله تعالى: "وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ"[2]. "ال" في الإنسان للاستغراق، تشمل جميع الأفراد.

ب- عرفي: وهو ما يدل على جميع الأفراد، ولكن من حيث العرف، كمثل قول أستاذك "اجمع الطلاب"، "لاتدع منهم أحدا"، المعنى هنا: اجمع الطلاب، و لكن لا نتصور أنك ستجمع كل الطلاب في كل المدارس والجامعات، وإنما الطلاب في فصلك أوسنتك أو مدرستك أو كليتك.[3]

فالآن نستطيع أن نعرف أن "ال" في الهوى لتعريف الجنس للاستغراق الحقيقي، فالنهي يعم كل ما هو هوى سواء كان هوى المخاطب أو هوى غيره.

---

[1] البلاغة فنونها و أفنانها-علم المعاني، ص 311-312
[2] سورة عصر، آية 1-2
[3] البلاغة فنونها و أفنانها، ص 311-316

و"الهوى" هنا أيضا فيها كناية عن الباطل والجور والظلم لما هو متعارف من الملازمة بين هذه الأمور وبين هوى النفس.[1]

وأما تعريف "الناس" فهو للاستغراق العرفي، لأن داود لايمكن أن يحكم كل الناس على سطح الأرض، إنما المقصود هنا الناس الذين تحت رعايته، وهذا شيء عرفي.

"إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ" تعليل لما قبله ببيان عائلته وإظهار سبيل الله في موقع الإضمار، يمكن أن يكون من الإطناب وضع الظاهر مكان الضمير، وخروج الكلام على غير الظاهر، لغرض معين يدرك بالذوق ويدل عليه السياق والقرائن، وقد كثر هذا في القرآن.

ففي هذه الآية مقتضى الظاهر هو "إن الذين يضلون عنه" لأن الآية قبلها بيان له، ولكن الله عزوجل أراد بإظهاره في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإيذاع بكمال شناعة الضلال عنه.[2]

والفاء في هذه الآية لإفادة بيان الصلة القوية بين اتباع الهوى والضلال، حتى يشجع داود على ترك الهوى كي لا يقع في الضلال.

"لهم عذاب شديد" فيها أسلوب القصر، قصر العذاب عليهم لا على غيرهم لضلالتهم ونسيانهم ليوم الحساب، فيها معنى التهديد و التوبيخ.

---

[1] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 23، ص 244
[2] تفسير أبي السعود، ج 4، ص 572

الفصل الثاني:

تحليل النظم في قصة سليمان عليه السلام

الحلقة الأولى: فضائله عليه السلام

إن الآي التي تتعلق بفضائله تقع في عدة سور:

الموقع الأول في سورة الأنبياء:

قال الله تعالى:" وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ"[1].

هذه الآية معطوفة على الآية قبلها، أي:"و سخرنا لسليمان الريح عاصفة...".

"لسليمان" متعلق بالفعل "سخرنا" المحذوف، و هو بمنزلة المفعول الثاني، و قدم على المفعول الأول "الريح" للاهتمام و العناية. و قد أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى أن التقديم في ظاهره للاهتمام و العناية و لكن هناك غاية خفية خلف هذه الظاهرة كما قال في دلائل الإعجاز: "و قد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال 'إنه قدم للعناية و لأن ذكره أهم' من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟ و بما كان أهم؟ و لتخيلهم ذلك، قد صغر أمر 'التقديم و التأخير' في نفوسهم و هونوا الخطب فيه."[2]

---

[1] سورة الأنبياء، آية 81

[2] دلائل الإعجاز، ص 108

فما فائدة التقديم في هذه الآية؟ قُدم الجار و المجرور على المفعول الأول هنا ليظهر مكانة سليمان عليه السلام و كرامته عند الله، و ليبين أن الله يفضل من يشاء من الأنبياء بما يختص به، و ليشوق الناس إلى تضخيم أمر تسخير الريح لسليمان، و هذا إجابة لدعاء سليمان:" وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ"[1]. فمن هنا يتبين إطلاق مشيئة الله و قدرته.

عندما نقارن بين هذه الآية و الآية قبلها " وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ" نجد التفاوت بينهما، في هذه الآية تجد أن المتعلق بالفعل هو "لسليمان"، و في الآية قبلها المتعلق بالفعل هو الظرف "مع"، فما الفرق بين حرف الجر اللام و الظرف مع؟ و ما السر في هذا؟

قال البيضاوي عن هذا:"و لعل اللام فيه دون الأول لأن الخارق فيه عائد إلى سليمان نافع له و في الأول أمر يظهر في الجبال و الطير مع داود بالإضافة إليه."[2] و نفس الأسلوب في "يا جبال أوبي معه"، نسب معجز سليمان بلام التمليك و لم ينسب معجز داود بتلك اللام.

و قال أبو السعود: "إيراد اللام ههنا دون الأول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت، فإن تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح و غيرها كان على طريق الانقياد الكلي له، و الامتثال بأمره و نهيه، و المقهورية تحت ملكوته، و أما تسخير الجبال و الطير لداود عليه السلام

---

[1] سورة ص، آية 35
[2] تفسير البيضاوي، ج 3، ص 362

فلم يكن بهذه المثابة، بل بطريق التبعية له و الاقتداء به في العبادة لله عز و جل."[1]

تأتي هذه الجملة مقيدة بالحالين "عاصفة" و "تجري بأمره". التقييد بالحال الأولى "عاصفة" أفاد قوة و شدة هذه الريح، و هذه الحال أدل على قدرة الله، و قد جاءت الحال اسما مشتقا للدلالة على الثبوت و الدوام فهي دائمة العصف. و الحال الثانية "تجري بأمره" أظهرت أن جريان الريح يكون بأمر من سيدنا سليمان، فهي جند من جنوده يأمرها بتنفيذ ما يريد، و جاءت الحال هنا جملة فعلية و لم يأت اسما كما في الحال الأولى للدلالة على التجدد و الحدوث، فهي تجري وقتا بعد وقت حينما يأمرها سيدنا سليمان.

و وصفت "الأرض" بالموصول و صلته "التي باركنا فيها" و لم توصف بالمعرف بـ"ال" فيقال "المباركة" للإشارة إلى أن هذه الأرض معلومة و معروفة و أن الله هو الذي باركها.

" وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ " جملة اعتراضية فائدتها تقرير علم الله سبحانه و إحاطته بكل شيئ، و هذا أسلوب من أساليب الإطناب، يفيد مزيد الاعتناء بشأنه. و هذا الأسلوب كثير جدا في القرآن، و هو يأتي عموما لهذا الغرض، و لكن لكل إطناب في القرآن معنى خاصا يحدده السياق. مثلا: "و هو على كل شيئ قدير" دائما يأتي بعد الحديث عن قدرة الله. أما هنا فقد تحدث الله عن تسخيره لسليمان الريح، فمن المعروف أن تسخير شيء يبني على العلم الدقيق بتفاصيل هذا الشيء، فصفة العلم تلائم السياق

[1] تفسير أبي السعود، ج 3، ص 719

في هذه الآية، و هذا الأسلوب يبين أن الله علمه يسع كل شيئ في هذا الكون، لأنه خالقه فلا يغيب عن علمه شيئ.

"وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ"[1].

الجملة معطوفة على ما قبلها، أي:"و سخرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له". اللام تدل على أن الغوص ليس لأنفسهم بل لأجله عليه السلام. قد بين الآلوسي أن أجسام الشياطين من نار يغوصون في البحر لا يضرهم، و هذا يدل على باهر قدرته عز و جل.[2]

" عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ " و يتجاوزون ذلك إلى الأعمال و المهن و بناء المدائن و القصور و اختراع الصنائع العجيبة، كما قال الله:"يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ"[3].

" وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ " أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم.[4]

هذه الجملة اعتراض من أساليب الإطناب، يفيد أن الله حافظ لأعمالهم و لأعدادها، لا يؤوده حفظ ذلك كله. و هذا يلائم السياق لأننا نعرف من سياق الآية أن المسخر له عليه السلام كفارهم لا مؤمنوهم لقوله"مِنَ الشَّيَاطِينِ"، "و من عادة الشياطين أن يفسدوا بالليل ما عملوا بالنهار."[5]

---

[1] سورة الأنبياء، آية 82
[2] تفسير الآلوسي، ج 17، ص 79
[3] سورة سبا، آية 13
[4] تفسير البيضاوي، ج 3، 362
[5] تفسير ابي السعود، ج 3، ص 720

فيبين الله أنه حافظهم في الأعمال، و يظهر معجز سليمان و كرامته عند الله.

فـ"من" في قوله " مِنَ الشَّيَاطِين " للتبعيض، أي: بعضهم. و هم الكفار دون المؤمنين. و اسم الموصول في " مَن يَعْمَلُونَ لهُ " يدل من الشياطين، و فيه بيان بعد إبهام.

و تحدث الله عن فضائله في موضع آخر:" وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لهُ عَيْنَ القِطْرِ ۖ وَمِنَ الجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ "[1].

هذه الآية تقع في سورة سبأ، "و التركيز الأكبر في هذه السورة على قضية البعث و الجزاء، و على إحاطة علم الله و شموله و لطفه، و تتكرر الإشارة في السورة إلى هاتين القضيتين المترابطتين بطرق منوعة، و أساليب شتى، و تظلل جو السورة كله من البدء إلى النهاية."[2]

قد سبق شرح مناسبات ذكر قصة سليمان عليه السلام مع محور السورة في الفصل الأول، فلا نبسط القول عنها في هذا المكان.

" وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ " بنصب "الريح" بمعنى: و لقد آتينا داود منا فضلا و سخرنا لسليمان الريح.[3] هنا عطف فضيلة سليمان على فضيلة داود لاعتبار بما أوتيه سليمان من فضل كرامة لأبيه على إنابته و لسليمان على نشأته الصالحة عند أبيه. فالعطف على "لقد آتيناداود منا فضلا". و المناسبة مثل مناسبة ذكر داود، فإن سليمان كان موصوفا بالإنابة، كما قال

[1] سورة سبإ، آية 12
[2] في ظلال القران، المجلد 5، ص 2888
[3] تفسير الطبري، ج 19، ص 226

الله تعالى:"وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ"[1] في سورة ص.[2]

و اللام في قوله "لسليمان" لام التقوية أنه لما حذف الفعل لدلالة ما تقدم عليه قرن المفعول الثاني بلام التقوية لأن الاحتياج إلى التقوية عند حذف الفعل أشد من الاجتياج إليها عند ذكر الفعل، و "الريح" مفعول أول.[3]

" غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ " الجملة إما مستأنفة بيانا لكيفية تسخير الريح له أو حال من الريح.

فأطلق الغدو على الانصراف و الانطلاق من المكان تشبيها بخروج الماشية للرعي في الصباح و هو وقت خروجها، أو تشبيها بغدو الناس في الصباح. و أطلق الرواح على الرجوع من المهمة التي يخرج لها لأن عرفهم أن رواح الماشية يكون في المساء فهو مشتق من راح إذا رجع إلى مقره.[4]

فقد شبهت الريح بالماشية التي تخرج و ترجع امتثالا لأمر الراعي، هذا التشبيه يعرفنا بأن الريح مسخر لسليمان بإذن الله عز و جل، و يتيح لنا هيئة حية مؤثرة في نفوسنا لهذا المعنى، و لا نستطيع أن نعرف سره إلا على طريق التخييل و التأويل، كما قاله صاحب الإيضاح:"فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، و فخامة أمره في فن البلاغة، أن تعقيب

---

[1] سورة ص، آية 34
[2] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 22، ص 157
[3] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 22، ص 158
[4] المرجع السابق نفسه

المعاني به يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا أو ذما أو افتخارا أو غير ذلك."[1]

فالمقصود في تشبيه هذه الآية أن يبين الله لنا أن الريح مسخر بإذنه نفعا لسليمان عليه السلام، ليظهر مكانة هذا النبي الملك عنده و كرامته، و هذا التسخير ليس خارقا عنده، بل سهل له، و هو على أن يسخره كما يشاء كمثل الماشية تتحرك تابعا لأوامر الراعي. فالتعبير استعارة تمثيلية.

" عَيْنَ القِطْرِ " سمي عين القطر باسم ما آل إليه، و هذا من المجاز المرسل ينتمي إلى المجاز اللغوي.

قال الدكتور محمد مصطفى في هذا:"أن المجاز اللغوي تحكمه علاقتان: الملابسة و الارتباط بين المعنيين و هو ما يسمى المجاز المرسل، و العلاقة الثانية المشابهة و هو ما يسمى الاستعارة. و قد سمي النوع الأول مجازا مرسلا لعدم تقيده بعلاقة واحدة شأن الاستعارة المحكومة بالمشابهة، و لكن المجاز المرسل تتسع علاقاته إلى حد كبير."[2]

و قال القزويني: "المرسل هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه و ما وضع له ملابسة غير التشبيه."[3]

وفي "عين القطر" مجاز مرسل علاقته الآلية و هي ذكر اسم الآلة و المراد الأثر الناتج عنها.[4] ففي هذه الآية تعبير عن النحاس المذاب بعين القطر للكثرة و في ذلك دلالة على قدرة الله و قوة سلطانه.

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، ص 164
[2] كتاب علم البيان، ص 59
[3] الإيضاح، ص 205
[4] كتاب علم البيان، ص 62

و في "أسلنا" نوع آخر من المجاز اللغوي و هو استعارة. تقوم العلاقة فيها بين المعنى الأول للكلمة و معناها الثاني الذي انتقلت إليه على المشابهة. فهنا السيلان مستعار لكثرة القطر كثرة تشبه كثرة ماء العيون و الأنهار. و ما ذلك إلا بإذابة و إصهار خارقين للمعتاد بقوة إلهية.[1]

فتجمع هذه الجملة نوعين من المجاز اللغوي كلاهما يستعمل لمعنى واحد، و هو كثرة النحاس المذاب مع دليل على قدرة الله . و هذا لا شك فيه من خاصية لغة القرآن و نظمه.

و قوله:" وَمِنَ الجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ " يجوز أن يكون عطفا على جملة "و أسلنا له عين القطر"، فقوله " مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ " مبتدأ و قوله" بِإِذْنِ رَبِّهِ " خبر. و "من" في قوله "مِنَ الجِنِّ" بيان لإبهام "من" قدم على المبين للاهتمام به لغرابته.[2] و هذا أيضا ليدل على قدرة الله و فيه تكريم لسليمان عليه السلام.

" يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ " يعني يخدمه و يطيعه، و "بين يديه" كناية عن الطاعة لخدمة سليمان ، كما يقال: أنا بين يديك، أي أنا مطيع.

الزيغ هو تجوز الحد و الطريق، و هو على طريق الاستعارة. فالاستعارة وقعت في الفعل، إذ شبه مخالفة الأمر بتجاوز الطريق الصحيح، فهذا نوع يعرف بالاستعارة التبعية. يبين أن من يخالف أمر سليمان كمثل من ضل سبيلا لا يوجد دليل و لا مرشد فعليه الهلاك و البعد عن الفلاح.

---

[1] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 22، ص 159
[2] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 22، ص 159

و "عذاب السعير" عذاب النار تشبيه أي عذاب كعذاب السعير، أي كعذاب جهنم و أما عذاب جهنم فإنما يكون حقيقة يوم الحساب.[1]

" يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ "[2].

" يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ " بين هذه الجملة و الجملة قبلها كمال الاتصال من موجبات الفصل. وهنا تكون الجملة الثانية بيانا للأولى، و ذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح، و المقتضي للتبيين أن يكون في الأولى نوع خفاء، مع اقتضاء إزالته. فهنا فصل الجملة "يعملون" عما قبلها لكونها تفسيرا و تبيينا لعمل الجن له عليه السلام.

وفي هذه الآية سبب آخر يوجب الفصل، و هو كمال الانقطاع بأن تختلف الجملتان خبرا و إنشاء، كما بين الجملة "اعملوا" و الجملة قبلها من اختلاف الإنشائية و الخبرية.

هذا الباب - باب الوصل و الفصل - من أدق فنون البلاغة و أصعبها، لا يعرفه احد على وجهه إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعا سليما. فيعتبره بعض علماء البلاغة حدا للبلاغة و معرفته معرفة لسائر معاني البلاغة، كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني:"اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها و

---

[1] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 22، ص 160
[2] سورة سبا، آية 13-14

المجيئ بها منثورة. تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، و مما لا يتاتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص، و إلا قوم طبعوا على البلاغة، و أوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد. و قد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة، فقد جاء بعضهم أنه سئل عنها فقال:'معرفة الفصل من الوصل'، و ذاك لغموضه و دقة مسلكه، و أنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمال لسائر معاني البلاغة."[1] فيجب علينا الاعتناء بتحقيقه في دراستنا يبلاغة العربية.

"محاريب" أي مساجد، محراب جزء من مسجد، و هذا من تسمية الشيء باسم جزئه، و هذا الضرب من المجاز المرسل. لأن المحراب يحدد القبلة في الصلاة، و هو أهم الأجزاء في المسجد، فتسمية المسجد بالمحراب لتظهر أهميته و كرامة سليمان لأن الشياطين الكفار هم الذين عملوا في بناء المحراب المحدد للقبلة بإذن الله عز و جل.

" وَجِفَانٍ كَالجَوَابِ " فيه تشبيه الجفان بالجواب في العظم، من سياق هذه الآية نعرف ان الله يذكر هنا فضائل سليمان عليه السلام و تسخير الجن له، فكل هذا يدل على قدرة الله تبارك و تعالى و كرامة سليمان و معجزته، فالتعبير لم يصف الشيء مباشرة بل عبر بالتشبيه، حيث شبهت الجفان بالجواب في العظم، و العظم أقوى في الجواب من الجفان لتكون هذه الصفة أقوى و أوضح و أقرب إلى إدراك السامع أو القارئ و تجربته. فلا شك أن التشبيه هنا زيادة للمعنى المقصود.

---

[1] دلائل الإعجاز، ص 222

" اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ" أي قلنا لهم: "اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما أنعم عليكم من النعم التي خصكم بها دون سائر خلقه". و ترك ذكر "وقلنا لهم" اكتفاء بدلالة الكلام عليه.[1]

و سره البلاغي هو بيان للناس أن الشكر على نعمة الله هو العمل، و فيه تشجيع على العمل شكرا لله عز و جل. فالصلاة شكر و الصيام شكر و كل خير يعمله الناس لله شكر. فالشكر يكون بالقول و يكون بالعمل.

كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني عن فائدة الحذف:"هو باب دقيق المسلك، لطيف الماخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، و الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق،و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبن."[2]

" وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ " جملة اعتراض من أسلوب الإطناب، بيان للحقيقة أن بلوغ أعلى درجات الشكر أمر يتصف به القليل من العباد. و سره البلاغي خلف هذه الحقيقة أن يحقر من لا يشكر الله و يظهر قيمة الشكر لله و مكانة من يشكر و شرفه و لتعظيم الأمر و تعظيمه.

"قليل" هنا تنكير المسند إليه للتقليل، وهذا التنكير أيضا يزيد دقة و وضوحا لمقصود هذه الجملة الاعتراضية.

لأن للتنكير أغراضا كثيرة، فلا نعرف مقصوده المستفاد في الآية إلا أن يرشدنا إليه السياق. فالسياق هو الذي يحدد لنا الغرض من التنكير، كما تجده في هذا الموضع.

---

[1] تفسير الطبري، ج 19، ص 235
[2] دلائل الإعجاز، ص 146

و عبر عن الشكر بصيغة المبلغة "الشكور" و لم يقل "الشاكرون" للإشارة إلى أن كثرة الشكر و القيام بحقه على أكمل وجه لا يتحقق إلا من قلة قليلة من العباد. ولهذا تجد أن وصف العباد بالشكر على صيغة المبالغة "شكور" لم يأتي في القرآن إلا في حق سيدنا نوح عليه السلام في قوله تعالى:"ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا"[1]. أما مجرد الشكر بدون مبالغة فهذا يتصف به معظم الناس كما يفهم من قوله سبحانه:"إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا"[2].

" تَبَيَّنَتِ الجِنُّ " أسلوب الإيجاز بالحذف، أي تبينت الجن للناس أنهم لا يعلمون الغيب. و دليل المحذوف هو جملة الشرط و الجواب:" أن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ " و في هذه الجملة أسلوب الإطناب أيضا بالإيضاح بعد الإبهام، "تبينت الجن" إسناد مبهم فصله قوله تعالى بعدها، أي تفصيل لما هو الذي يتبين لهم.[3]

قال القزويني عن فائدة الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام:"ليرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضل تمكن. فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال و الإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل و الإيضاح، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقي لذلك تمكن فيها فضل تمكن، و كان شعورها به أتم."[4]

ففي هذه الآية خير دليل على صحة كلام القزويني، ثم نجد أن في هذه الآية جمعا بين أسلوبين متقابلين الإيجاز و الإطناب جمعا منسجما، وهذا

---

[1] سورة الإسراء، آية 3
[2] سورة الإنسان، آية 3
[3] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 22، ص 164
[4] الإيضاح، ص 151

هو خاصية فريدة من إعجاز كلام الله عز و جل، يعطينا اللذة و المتعة و أتم الشعور بفضله عند قراءته.

فهذه الآية إبطال لاعتقاد العامة يومئذ و ما يعتقده المشركون أن الجن يعلمون الغيب فلذلك كان المشركون يستعملون المغيبات من الكهان، و يزعمون أن لكل كاهن جنيا يأتيه بأخبار الغيب، و يسمونه رئيا إذ لو كانوا يعلمون الغيب لكان أن يعلموا وفاة سليمان أهون عليهم.[1] فهذه الآية بما فيها من خصائص بيانية فريدة رد قوي لاعتقادهم و ادعائهم.

[1] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 22، ص 165

الحلقة الثانية: فتنته عليه السلام

يقول الله تبارك و تعالى في سورة ص:" وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ".[1]

بعد قصة داود و التعقيب المعترض في صلب القصة يمضي سياق هذه السورة يعرض نعمة الله على داود في عقبه و ولده سليمان ، و ما وهبه الله من ألوان الأنعام و الإفضال، كما يعرض فتنته و ابتلاءه و رعاية الله له و إغداقه عليه بعد الفتنة و الابتلاء.[2]

و في هذه الآيات إشارتان واردتان هنا عن الصافنات الجياد، و هي الخيل الكريمة، و عن الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان. أشار أستاذنا سيد قطب إلى أننا يصعب علينا أن نعرف حقيقة هاتين الإشارتين من خلال نصوص القرآن و الأحاديث، و لكن نستطيع أن نخرج أنه كان هناك ابتلاء من الله و فتنته لنبي الله سليمان في شأن يتعلق بتصرفاته في الملك و السلطان كما يبتلي الله أنبياءه ليوجههم و يرشدهم، و يبعد خطاهم عن الزلل، و أن سليمان أناب إلى ربه و رجع، و طلب المغفرة و اتجه إلى الله بالدعاء و الرجاء.[3]

" وَوَهَبْنَا " فيها استعارة تبعية، جعل سليمان عليه السلام كنعمة و هبة من الله لداود تكريما له و بيانا لكرامته.

---

[1] سورة ص، آية 30-33
[2] في ظلال القرآن، المجلد 5، ص 3019
[3] المرجع السابق نفسه

" نِعْمَ العَبْدُ " جملة استئنافية بيانية من موجبات الفصل، بيان للهبة.

"إنَّهُ أوَّابٌ" أيضا استئنافية بيانية لنعمته.

"إذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ" جملة استئنافية أيضا، بيان لأوابته و تعليل للمدح المخصوص لسليمان لا لداود.

"أواب" يجوز أن يكون كناية عن أنه مكثر التسبيح لأن من كان مكثرا لشيء يلزمه أن يكون رجاعا إليه فكني بذكر أنه رجاع التسبيح عن ملزومه.[1]

"الصافنات" صفة لموصوف محذوف أي الخيل الصافنات، و الحذف دل على أهمية هذه الصفة من الخيل، تأخير ذكرها عن الظرفين للتشويق إلى المؤخر.

"إنِّي أحْبَبْتُ" جملة خبرية مؤكدة بـ"إن"، و التوكيد للدلالة على اعترافه و ندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر.

وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة الظاهر عليه من ذكره: فلهي عن صلاة حتى فاتته، فقال: "إني أحببت...".[2]

"حُبَّ الخَيْر"، سمي الخيل خيرا على أسلوب المجاز المرسل، علاقته المسببية، و هي تسمية السبب باسم المسبب، فالخير هو المسبب، و المراد الخيل الذي يكون سببا فيها، لأنه عليه السلام يعتبره أداة مهمة لمجاهدته

---

[1] تفسير البيضاوي، ج 4، ص 85
[2] تفسير الطبري،، ج 20، ص 83

في سبيل الله و لنشر الخير على الارض، فسمي الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها.[1]

ثم بعد ذلك نجد أن فيه معنى دقيقا هو أن سليمان يعبر عن ندمه و يستغفر الله بهذا الأسلوب كأنه قال:"أخطأت لهدف الخير فاعف عني." هنا الإشارة إلى الخير تثير رحمة من الله حتى يعفو عنه بسرعة و تعاطف الناس معه. و هذا خير تمثيل لمن يطلب العفو من الآخر من حيث يذكر عنده نقاط الخير المشتركة حتى يثير في قلبه التعاطف و الرحمة و الشفقة فيعفو عنه بسرعة.

"حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ" متعلق بقوله تعالى" إِنِّي أَحْبَبْتُ " باعتبار استمرار المحبة و دوامها حسب استمرار العرض، أي: أنبت حب الخير عن ذكر ربي، و استمر ذلك حتى غربت الشمس.[2]

" تَوَارَتْ" أي غربت الشمس، تشبيها لغروبها في مغربها بتواري المخبأة بحجابها على طريقة الاستعارة التبعية، و إضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها، و لا بد للمضمر من جري ذكر أو ذكر دليل ذكره، فحذف الفاعل لدلالة السياق عليه لانه لا يتوارى بالعشي إلا الشمس. و يجوز أن يكون هناك استعارة مكنية تخييلية.[3]

لما كانت الاستعارة مبنية على التشبيه، و التشبيه له طرفان: مشبه و مشبه به، قد اختلفت الاستعارة عن التشبيه بسبب حذف أحد طرفي التشبيه. فإذا حذفنا المشبه و صرحنا بلفظ المشبه به، أطلقنا على هذا النوع من

---

[1] الكشاف، ج 5، ص 265
[2] تفسير روح المعاني، ج 23، ص 192
[3] المرجع السابق نفسه

الاستعارة تصريحية، لأننا تناسينا المشبه وادعينا أن المشبه به هو المشبه نفسه و صرحنا به. و هناك نوع آخر من الاستعارة لا نصرح فيه بلفظ المشبه به، بل نرمز إليه بشيء من لوازمه، أو خاصية من خواصه، و تسمى هذه الاستعارة مكنية لأننا حذفنا المشبه به و كنينا عنه أو رمزنا بشيء يدل عليه.[1]

ففي هذه الآية لم يصرح بلفظ المشبه به، بل رمز إليه بشيئ من لوازمه و هو تواري، فهذا الأسلوب هو استعارة مكنية.

"رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ"، قال الزمخشري:"فإن قلت: بم اتصل قوله 'ردوها علي'؟ قلت:بمحذوف، تقديره:قال ردوها علي، فأضمر و أضمر ما هو جواب له، كأن قائلا قال: فماذا قال سليمان؟ لأنه موضع للسؤال اقتضاء ظاهرا، وهو اشتغال نبي من أنبياء الله بأمر الدنيا، حتى تفوته عن وقتها."[2]

"و الكلام على ما قاله الزمخشري على إضمار القول أي قال ردوها علي، و الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا كأنه قيل: فماذا قال سليمان؟ فقيل: قال ردوها."[3] فهنا الجملة الأولى تثير سؤالا تجيبه الجملة الثانية، فبين هاتين الجملتين شبه كمال الاتصال، من موجبات الفصل.

---

[1] كتاب علم البيان، ص 69-70
[2] الكشاف، ج 5، ص 267
[3] تفسير روح المعاني، ج 23، ص 192

"و الفاء في قوله تعالى 'فَطَفِقَ مَسْحًا' فصيحة أفصحت عن الجملة المحذوفة، و قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها و إيذانا بغاية سرعة الامتثال بالأمر."[1]

قسم الاستاذ محمد حسن الشريف الفاء المفردة إلى عشرة أقسام، و عن الفاء الفصيحة يقول:"و هي تسمية أطلقها الزمخشري، و تم التوسع في القول بها لدي كثير من النحاة و المفسرين المتأخرين في مواضع بينها:

- أن تكون الفاء جوابا لشرط مقدر، و سميت فصيحة لأنها أفصحت عن هذا الشرط المقدر، أو لأنها لا تقع إلا في كلام فصيح بليغ، كالفاء في قوله تعالى'وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ'[2].

- كما أطلقت هذه التسمية على فاء عطفت على محذوف، و سميت هنا فصيحة لأنها تفصح و تكشف عن المحذوف، كالفاء في قوله تعالى :'وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا'[3] أي فضرب فانفجرت."[4]

ففي هذه الآية الفاء فصيحة مفصحة عن الجملة قد حذفت، أي: فردوها فطفق مسحا.

ثم قال الله تبارك و تعالى:

" وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ

---

[1] تفسير روح المعاني، ج 23، ص 192
[2] سورة البقرة، آية 149
[3] سورة البقرة، آية 60
[4] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ص 679

تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ"[1].

" وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ " جملة خبرية مؤكدة بتوكيدين القسم و قد، قد خرج الكلام عن مقتضى الظاهر بتنزيل المخاطب منزلة من ينكر فتنة سليمان.

الخبر له ثلاثة أنواع، الاول يسمى ابتدائيا و هو إخبار عن حقيقة، و الثاني يسمى طلبيا، و هو جواب عن سؤال سائل، و الثالث يسمى إنكاريا، و هو حواب عن إنكار منكر. كقول العرب: عبد الله قائم، و إن عبد الله قائم، و إن عبد الله لقائم. الأول إخبار عن قيام عبد الله، و الثاني جواب عن سؤال عن قيامه، و الثالث جواب عن إنكار منكر لقيامه. و لكن كثيرا ما يخرج على خلافه، و سلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة و غموض.[2]

ففي هذه الآية تنزيل المخاطب منزلة المنكر للتأكيد على حقيقة فتنة الله لنبيه سليمان كما فتن الله كل الأنبياء، و هذا دليل على أن الفتنة التي يواجهها نبينا محمد هي على مسيرة الأنبياء، و هذا شرح لصدر نبينا محمد من حيث سيأتي نصر و ملك بعد الفتنة فاصبر و استغفر الله و ارجع إليه عز و جل حتى يتحقق وعد الله لك كما تتحقق لسليمان عليه السلام.

" وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ "، لا نستطيع معرفة كيفية الفتنة، و لكن الذي يظهر من سياق هذه الآية أن قوله هذا إشارة إلى شيئ من هذه الفتنة ليرتبط قوله "ثم أناب" بذلك.

---

[1] سورة ص، آية 34-40
[2] الإيضاح، ص 28-29

" قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ " الجملة بدل من "أناب"، و تفسير له، بينها وما قبلها كمال الاتصال، من موجبات الفصل، و فيها أيضا أسلوب الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام.

" اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي " " قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الأنبياء و الصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم. "لا ينبغي" لا يتسهل و لا يكون. و معنى "من بعدي" دوني. فإن قلت : أما يشبه الحسد و الحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطي الله ما لا يعطيه غيره؟ قلت: كان سليمان عليه السلام ناشئا في بيت الملك و النبوة و وارثا لهما، فأراد أن يطلب من ربه معجزة، فطلب على حسب إلفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز، ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث إليهم، و أن يكون معجزة حتى يخرق العادات، فذلك معنى قوله: لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي."[1]

و تنكير "ملكا" للتعظيم.

ففعل "ينبغي" مطاوع بغاه، يقال: بغاه فانبغى له، و ليس للملك اختيار و انبعاء، و إنما الله هو المعطي و الميسر فإسناد الانبغاءإلى الملك مجاز عقلي، و حقيقته: انبغاء سببه، و هذا من التأدب في دعائه إذ لم يقل: لا تعطه أحدا من بعدي.[2]

و جملة " إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ " علة للسؤال كله و تمهيد للإجابة، فقامت "إن" مقام حرف التفريع و دلت صيغة المبالغة في "الوهاب" على أنه تعالى يهب الكثير و العظيم لأن المبالغة تفيد شدة الكمية أو شدة الكيفية أو كلتيهما

---

[1] الكشاف، ج 5، ص 270

[2] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 23، ص 262

بقرينة مقام الدعاء، فمغفرة الذنب من المواهب العظيمة لما يرتب عليه من درجات الآخرة و إعطاء مثل هذا الملك هو هبة عظيمة. و "أنت" ضمير فصل، و أفاد ضمير الفصل قصرا فصار المعنى: أنت القوي الموهبة لا غيرك، لأن الله يهب ما لا يملك غيره أن يهبه، حيث قصر الوهاب على الله سبحانه فلا وهاب إلا أنت.[1]

" فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ " اقتضت الفاء و ترتيب الجمل أن تسخير الريح و تسخير الشياطين كانا بعد أن سأل الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله هاتين الموهبتين زيادة في قوة ملكه، و تحقيقا لاستجابة دعوته لأنه إنما سأل ملكا لا ينبغي لأحد غيره و لم يسأل الزيادة فيما أعطيه من الملك.[2]

و اللام في "له" للعلة، أي لأجله، أي ذلك التسخير كرامة من الله له بأن جعل تصريف الرياح مقدرا على نحو رغبته.[3]

"الرخاء" اللينة التي لا زعزعة في هبوبها، و انتصب "رخاء" على الحال من ضمير "تجري" أي تجري بأمره لينة مساعدة لسير السفن، و هذا من التسخير لأن شأن الريح أن تتقلب كيفيات هبوبها، و أكثر ما تهب شديدة عاصفة. فجعلها الله له رخاء برغبته دليلا على كمال قدرة الله و كرامة سليمان عند الله عز و جل.

"الشياطين" جمع شيطان، و حقيقته الجني، و يستعمل مجازا للبالغ غاية المقدرة و الحذق في العمل الذي يعمله. و سخر له الشياطين تسخير إذلال

---

[1] المرجع السابق، ص 263
[2] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 23، ص 264
[3] المرجع السابق نفسه

و مغلوبية لعظم سلطانه و إلقاء مهابته في قلوب الأمم فكانوا يأتون طوعا للانضواء تحت سلطانه.[1]

" كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ " بدل من الشياطين، بدل بعض من كل، أي كل بناء و غواص منهم، و "كل" هنا مستعملة في معنى الكثير، و "بناء و غواص" على وزن المبالغة للدلالة على قدرة الصناعة مثل نجار و حداد.

" هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ " الإشارة إلى التسخير المستفاد من "سخرنا له الريح" إلى قوله "و الشياطين" أي هذا التسخير عطاؤنا. و الإضافة لتعظيم شأن المضاف لانتسابه إلى المضاف إليه فكأنه قيل: هذا عطاء عظيم أعطيناكه.

و جملتا " فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ " معترضتان بين قوله "عطاؤنا" و قوله "بغير حساب"، و هو تفريع مقدم من تأخير، و التقديم لتعجيل المسرة بالنعمة.

" وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ " تقدم نظيره آنفا في قصة داود و بيان السر البلاغي في هذه الآية.[2]

---

[1] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 23، ص 264
[2] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 23، ص 268

الحلقة الثالثة:

قصته عليه السلام مع النمل و ملكة سبأ:

إذ قال الله تعالى في سورة النمل:

" وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ "[1].

قد سبق الحديث عن مناسبة قصة داود و سليمان مع محور هذه السورة و مع ما قبلها من قصة موسى عليه السلام، فندخل في الشرح لنظم القصة مباشرة.

" وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ "، أي ورث منه النبوة و الملك،[2] الإرث هنا في معناه المجازي، و هو تشبيه الأحوال الجليلة بالمال، و هذا استعارة تبعية.

"وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ"، حكاية قول سليمان ، المبتدأ بالنداء للبعيد تشهيرا لنعمة الله و تنويها بها، و اعترافا بمكانها، و دعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي منها علم منطق الطير و غير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور.

[1] سورة النمل، آية 16-19
[2] الكشاف، ج 4، ص 437

"عُلمنا - أوتينا" فيهما عدول عن ضمير المفرد إلى الجمع، مرادا به نفسه، جاء به على صيغة المتكلم، إما لقصد التواضع كأن جماعة علموا و أوتوا و ليس هو وحده، و إما لأنه المناسب لإظهار عظمة الملك، و في ذلك تهويل لأمر السلطان عند الرعية.[1]

و جاء الفعلان بالبناء للمجهول "علمنا- أوتينا" للإشارة إلى أن هذا العلم و هذا الإتيان من كل شيئ هما من الله سبحانه و أن سليمان عليه السلام لا يستطيع أن يصل إلى هذا الدرجة من العلم و الملك بمجهوده البشري.

"منطق الطير" أي أصوات الطير، عبر عنها بلفظ "منطق" تشبيها له بنطق الإنسان من حيث هو ذو دلالة لسليمان على ما في ضمائر الطير، و هذا كرامة سليمان من الله.

و في الاقتصار على منطق الطير إيجاز القصر، و هو ما ليس بحذف مع أن معناه كثير، يزيد على لفظه،[2] لأنه إذ عمل منطق الطير، و هي أبعد الحيوان عن الركون إلى الإنسان و أسرعها نفورا منه، علم أن منطق من هو أكثر اختلاطا بالإنسان حاصل له بالأحرى كما يدل عليه قوله تعالى فيما يأتي قريبا: " فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ". فتدل هذه الآية على أنه علم منطق كل صنف من أصناف الحيوان.[3]

و المراد بـ"كل شيء" كل شيء من الأشياء المهمة، ففي "كل شيء" عمومان عموم "كل" و عموم النكرة، و كلاهما هنا عموم عرفي، فـ"كل" مستعملة في الكثرة و "شيء" مستعمل في الأشياء المهمة مما له علاقة

---

[1] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 238
[2] الإيضاح، ص 143
[3] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 237

بمقام سليمان، و هو كقوله تعالى فيما حكى عن أخبار الهدهد:" وَأُوتِيت مِن كُلِّ شَيْءٍ "[1]، أي كثيرا من النفائس و الأموال، و في كل مقام يحمل على ما يناسب المتحدث عنه.[2]

و التأكيد في " إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ " بحرف التوكيد "إن" و اللام و بضمير الفصل، مقصود به تعظيم النعمة أداءا للشكر عليها بالمستطاع من العبارة.[3]

فأفاد ضمير الفصل قصر الفضل المبين على اسم الإشارة، أي ما الفضل المبين إلا هذا، و في التعبير باسم الإشارة هذا دون الضمير إشارة إلى ظهور هذه النعمة و تميزها فهي محسوسة مشاهدة.

" وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنس وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ "، هذا القول بيان للجنود فهي تتكون من ثلاثة أصناف: صنف الجن و هو لتوجيه القوى الخفية، و صنف الإنس و هو جنود تنفيذ الأوامر و محاربة العدو، و صنف الطير و هو من تمام الجند لتوجيه الإخبار و تلقيها و إرسال الرسائل إلى القواد و الأمراء. و اقتُصرعلى الجن و الطير لغرابة كونها من الجنود فلذلك لم يذكر الخيل وهي من الجيش.

و في الآية أيضا إشارة إلى أن جمع الجنود و تدريبها من واجبات الملوك ليكون الجنود متعهدين لأحوالهم و حاجاتهم ليشعروا بما ينقصهم ويتذكروا

ما قد ينسونه عند تشوس الأذهان عند القتال و عند النفير.[1]

---

[1] سورة النمل، آية 23
[2] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 238
[3] المرجع السابق نفسه

و بني الفعل "حشر" للمجهول للإشارة إلى تعظيم الفاعل، و لأن الفاعل معلوم، و هذا الفعل لا يكون إلا من الله سبحانه.

و تقديم الجن على الإنس في البيان للمسارعة إلى الإيذان بكمال قوة ملكه و عزة سلطانه من أول الأمر لما أن الجن طائفة عاتية و قبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر و التسخير.[2] و قيل في تقديم الجن: أن مقام التسخير لا يخلو من تحقير و هو مناسب لهم و ليس بشيء لأن التسخير للأنبياء شرف لأنه في الحقيقة لله عز و جل.[3]

ثم نجد أن الجن و الإنس من المخلوقات التي ذكرت في القرآن كثيرا، و لكن ذكرهما ليس على نسق واحد، بل جاءت معظم الأيات بتقديم ذكر الجن على الإنس و في بعض الآيات قدم فيها الإنس على الجن. و ذلك تبعا لاقتضاء المقام و السياق.

فالآية في هذه السورة قدمت فيها الجن على الإنس، قد قمنا بشرح دور السياق في هذا آنفا. فمن السياقات الأخرى التي قدم فيها ذكر الجن قوله تعالى: " وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنس رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ "[4].

فالخطاب هنا سيقع في يوم الحشر، و هو موجه إلى الجن على سبيل التبكيت على ما فعلوه من الاستكثار من الإنس و غوايتهم، و لمزيد من التحقير، فقدم ذكرها هنا على الإنس.

---

[1] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 245
[2] تفسير أبي السعود، ج 4، ص 250
[3] تفسير روح المعاني، ج 19، ص 174
[4] سورة الأنعام، آية 128

و في موضع آخر قدم ذكر الجن على ذكر الإنس في مقام الحديث عن الغاية من خلقهما، فهما لم يخلقا إلا لعبادة الله وحده، فقدم ذكر الجن على الإنس بسبب سبقه في الخلق، و ذلك في قوله تبارك و تعالى: " وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إلَّا لِيَعْبُدُون "[1].

وكذلك الشأن إذا جاء ذكر الإنس مقدما على الجن، فلا بد من سبب في السياق اقتضى ذلك، قال الله تعالى: " قُل لَئِن اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالجِنُّ عَلَىٰ أن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا القُرْآن لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ".[2]

فقدم الإنس على الجن لأن التحدي وقع على الناس أولا، من حيث أن الرسول صلى الله عليه و السلم مبعوث أصلا إلى الناس، ويؤكد سياق الآية على هذا المعنى إذ قال الله تعالى بعد هذه الآية: " وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاس فِي هَٰذَا القُرْآن مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاس إلَّا كُفُورًا "[3].

وهذا كله دليل واضح على الغاية العظمى في الفصاحة و البلاغة لأسلوب القرآن و نظمه، و خرج عن جميع وجوه النظم المتعارف في الكلام البشري. فنكتفي الآن بهذا الشرح لتقديم الجن و الإنس لنرجع إلى نظم قصة سليمان الذي هو صلب البحث.

"فهم يوزعون"، الفاء للتفريع على معنى حشر لأن الحشر إنما يراد ذلك فيه للدلالة على الكثرة و الإشعار بكمال مسارعتهم إلى السير و الدلالة على أنهم مسوسون غير مهملين لا يتأذى أحد بهم.[4]

---

[1] سورة الذاريات، آية 56
[2] سورة الإسراء، آية 88
[3] سورة الإسراء، آية 89
[4] تفسير روح المعاني، ج 19، ص 174

و تقديم الضمير "هم" أي المسند إليه على الخبر الفعلي للتأكيد و تقوية الإسناد، فحبس كل هذه الجنود في وقت واحد و في مكان واحد يقتضي التأكيد لأن الخبر غريب.

" حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ "، "حتى" هي التي يبتدأ بها الكلام و مع ذلك هي غاية لما قبلها، و هي ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى:" فهم يوزعون " من السير، كأنه قيل: فساروا حتى إذا أتوا إلخ.[1]

و تعدية الفعل إليه بكلمة "على" مع أنه يتعدى بنفسه أو بـ"إلى"، إما لأن إتيانهم كان من فوقهن فأتى بحرف الاستعلاء، و إما لأن يراد قطع الوادي و بلوغ آخره.[2]

"قالت نملة"، لم تكن النملة من العقلاء الذين ينصحون قومهم بتراكيب ملفوظة، لكن الآية تأتي على طريقة الاستعارة التمثيلية بأن شبهت الحالة الواقعة بين النملة و بين قومها بما يقع بين العقلاء الناصحين و قومهم، فعبر عن الحال المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبهة بها، فقيل "قالت نملة..."، و مع ذلك لا يمتنع أن خلق الله فيها العقل و النطق،[3] و عرف سليمان ذلك على سبيل المعجزة و خرق العادة.

" لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ "، جملة استئنافية بيان لنهي النمل عن الوقوف، على أسلوب شبه كمال الاتصال، من موجبات الفصل. فالجملة الأولى تثير سؤالا تقديره: لم تأمرينا بدخول المساكن؟ فجاءت

---

[1] تفسير روح المعاني، ج 19، ص 174
[2] الكشاف، ج 4، ص 440
[3] تفسير البيضاوي، ج 3، ص 488

الجملة " لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " جوابا عن هذا السؤال.

الحطم هو كسر لشيئ صلب، و استعير هنا للرفس بجامع الإهلاك. و جملة " وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " حال من فاعل "يحطمنكم" مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا. و أراد بذلك الإيذان بأنها عارفة بشؤون سليمان و سائر الأنبياء من عصمتهم عن الظلم و الإيذاء، و قيل هو استئناف أيضا، أي فهم سليمان ما قالتها و القوم لا يشعرون بذلك.[1]

"فتبسم ضاحكا" يعني أنه تجاوز حد التبسم إلى الضحك، فـ"ضاحكا" حال بينت درجة التبسم مع أن التبسم يتدرج تحته الضحك، فلو اكتفى التعبير بـ"تبسم" ما دل على درجة هذا التبسم.

و ما أضحكه من قولها شيئان: إعجابه بما دل من قولها من ظهور رحمته و رحمة جنوده و شفقتهم، و على شهرة حاله و حالهم في باب التقوى، و سروره بما آتاه الله مما لم يأت أحدا من إدراكه بسمعه و إحاطته بمعناه. و لذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك، و على استيفاقه لزيادة العمل الصالح و التقوى.[2] فقال: "رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ".

و حقيقة "أوزعني" اجعلني أزع شكر نعمتك عندي، و أكفه و أرتبطه لا ينفلت عني، حتى لا أنفك شكرا لك. و إنما أدرج ذكر والديه لأن النعمة

---

[1] تفسير ابي السعود، ج 4، ص 252
[2] الكشاف، ج 4، ص 443

على الولد نعمة على الوالدين، خصوصا النعمة الراجعة إلى الدين. فإنه إذا كان تقيا نفعهما بدعائه و شفاعته.[1]

و وصفت النعمة بقوله " الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ " للتنصيص على هذه النعمة الخاصة التي خصه الله بها.

"وأنْ أعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ" تشير إلى أن العمل الصالح إتمام للشكر و استدامة للنعمة، و فيه تشجيع على الشكر لله بالعمل الصالح، ثم بعد ذلك طلب سليمان إدخاله في عباد الله الصالحين يشير إلى عدم استلزام العمل الصالح بنفسه إدخال الجنة، فالعمل الصالح هو لذلك فضل من الله و يوفق إليه من يشكر نعمته، و سليمان الشاكر الذي يستعين بربه ليقفه على شكر نعمته، يستعين ربه لذلك ليوفقه إلى عمل صالح يرضاه، و هو يشعر أن العمل الصالح توفيق و نعمة أخرى من الله. " وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ " فهو يعلم أن الدخول في عباد الله الصالحين رحمة من الله، ففي هذا الدعاء إشارة إلى ذلك المعنى. و هذا التعبير يشي بنعمة الله التي مست قلب سليمان عليه السلام في تلك اللحظة، و يصور نوع تأثره و قوة توجهه وارتعاشة وجدانه. و هو يستشعر فضل الله الجزيل و يتمثل به فضل الله عليه و على والديه، و يحس مس النعمة و الرحمة في ارتفاع و ابتهال.[2]

" وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ "[3].

---

[1] المرجع السابق نفسه
[2] في ظلال القرآن، المجلد 5، ص 2637
[3] سورة النمل، آية 20-21

من واجبات ولاة الأمور تفقد أحوال الرعية و معرفة مصالحهم و شكاواهم، حتى يدبروا أمور الولاية باحسن طريقة، فتفقد سليمان الطير بنفسه فعرف أن الهدهد غاب عن رؤيته فاستفهم بقوله " مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ " تعجبا لحال عدم رؤيته الهدهد.

و ألفاظ الاستفهام كثيرا ما تستعمل في معان غير الاستفهام بحسب المقام و السياق، ذكر الخطيب القزويني أكثر من عشرة أغراض، ومنها التعجب كقوله تعالى هنا في القصة.[1]

و اللام من قوله "لي" للاختصاص، و هذا يعني أن مجرور اللام يملك الشيئ مجازا لا حقيقة، أي أن ملكه له على سبيل التمليك، كقوله: "وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا"[2]. أو على سبيل الاختصاص كقوله تعالى هنا.[3]

"أم" منقطعة، و هي التي يكون ما بعدها منقطعا أو منفصلا عما قبلها، أي أن سياق الكلام منقطع عندها، ثم استؤنف كلام آخر. و علامتها أن تكون بعد همزة التسوية أو الهمزة التي يطلب بها التصديق. و يمكن أن تكون بعد استفهام إنكاري أو طلبي.[4]

"أم" هنا منقطعة لأنها لم تقع بعد همزة الأستفهام التي يطلب بها تعيين أحد الشيئين، و مسبوقة بالاستفهام. و "أم" لا يفارقها تقدير معنى الاستفهام بعدها فأفادت هنا إضراب الانتقال من استفهام إلى استفهام آخر، و التقدير: بل أ كان من الغائبين؟[5]

---

[1] الإيضاح، ص 112
[2] سورة مريم، آية 50
[3] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ص 814
[4] المرجع السابق، ص 353
[5] تفسير التحرير ة التنوير، المجلد 19، ص 246

و تغيب الهدهد من دون إذن عصيان يجب عقابه استصلاح له و للولاية، فقال سليمان: " لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ " و أكد عزمه على عقابه بتوكيد الجملتين " لَأُعَذِّبَنَّهُ - لَأَذْبَحَنَّهُ " باللام المؤكدة التي تسمى لام القسم و بنون التوكيد ليعلم الجند ذلك حتى إذا فقد الهدهد و لم يرجع يكون ذلك التوكيد زاجرا لباقي الجنود عن أن يأتوا بمثل ما فعله فينالهم العقاب.

و أما توكيد جملة " أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ" فلإفادة تحقيق أنه لا منجي له من العذاب إلا أن يأتي بحجة تبرر تغيبه لأن سياق تلك الجملة يفيد أن مضمونها عديل العقوبة فلما كان العقاب مؤكدا محققا فقد اقتضى تأكيد المخرج منه لئلا يبرئه منه إلا تحقق الإتيان بحجة ظاهرة، لئلا تتوهم هوادة في الإدلاء بالحجة فكان تأكيد العديل كتأكيد معادله. وبهذا يظهر أن "أو" الأولى للتخيير و "أو" الثانية للتقسيم.[1]

" فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [2]"

"غير بعيد" وصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفا من سليمان و ليعلم كيف كان الطير مسخرا له و لبيان ما أعطى من المعجزة الدالة

---

[1] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 247-248
[2] سورة النمل، آية 22-26

على نبوته و على قدرة الله.[1] فـ"غير بعيد" صفة لموصوف محذوف أي وقتا غير بعيد.

" فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ " ابتداء كلام الهدهد بذلك لترويجه عنده عليه السلام و ترغيبه في الإصغاء إلى اعتذاره و استمالة قلبه نحو قبوله.فإن النفس للاعتذار المنبئ عن أمر بديع أقبل و إلى تلقي ما لا تعلمه أميل.[2]

و الإحاطة: الاشتمال على الشيء و جعله في جوز المحيط. وهو هنا مستعارة لاستيعاب العلم بالمعلومات لم يحط بها علم سليمان.[3] و التعريف بالموصول في قوله "بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ" للتفخيم و التهويل ، فلم يقل بأمر لم تحط به.

و الباء في قوله "بنبإ" للمصاحبة لأن النبأ كان مصاحبا للهدهد حين مجيئه.[4]

و بين "سبأ" و "نبأ" الجناس المزدوج. و فيه أيضا جناس الخط، و هو أن يكون صورة الكلمتين واحدة في الخط و إنما تختلفان في النطق.[5]

" إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ... " جملة استئنافية لبيان ما جاء به من النبأ، و تفصيل له و الاستئناف من موجبات الفصل فلا تعطف على ما قبلها، فبين الجملتين شبه كمال الاتصال.[6]

و إدخال "إن" في صدر هذه الجملة لأهمية الخبر إذ لم يكن معهودا في بني إسرائيل أن يكون المرأة ملكا.[1]

---

[1] الكشاف، ج4، ص 446
[2] تفسير روح المعاني، ج 19، ص 186
[3] تفسير التحرير و التنوير، المحلد 19، ص 250
[4] المرجع السابق، ص 252
[5] المرجع السابق نفسه
[6] تفسير روح المعاني، ج 19، ص 188

و تنكير "امرأة" و هو مفعول أول لـ"وجدت" له حكم المبتدأ فهو كالابتداء بالنكرة إذا أريد بالنكرة التعجب من جنسها كقوله: بقرة تكلمت، لأن المراد حكاية أمر عجيب عندهم أن تكون امرأة ملكة على القوم. ولذلك لم يقل: وجدتهم تملكهم امرأة.[2] فقوله تعالى " إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ " بجعل جملة "تملكهم" صفة لـ"امرأة" فيه تعظيم لمكانة هذه المراة و تفخيم لشأنها، و إشارة غلى قدرتها على الحكم و السياسة. أما لو قيل "وجدتهم تملكهم امرأة" كأن في ذلك تقليل من شأن المحكومين و استهانة بهم لأنهم سلموا أمرهم لامرأة.

" وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ "، و بناء فعل "أوتيت" على المجهول إذ لا يتعلق الغرض بتعيين أسباب ما نالته بل المقصود ما نالته على أن الوسائل و الأسباب شتى. و لذا فلم يتعين الفاعل عرفا، و كل من عند الله.[3] و هذه الجملة كناية عن عظمة ملكها و ثرائها و توفر أسباب الحضارة و القوة و المتاع. و "لَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ" يدل على الغنى و الترف و ارتقاء الصناعة.[4]

و استعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام إما بالنسبة إلى حالها أو إلى عروش أمثالها من الملوك، وقد جوز أن يكون لسليمان مثله و أيا ما كان فوصفه بذلك بين يديه لما مر من ترغيب في الإصغاء إلى حديثه و توجيه عزيمته نحو تسخيرها و لذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها و كفر قومها.[5]

---

[1] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 252
[2] المرجع السابق نفسه
[3] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 253
[4] في ظلال القرآن، ج 5، ص 2638
[5] تفسير أبي السعود، ج 4، ص 255

و عن سبب تهدي الهدهد إلى معرفة الله و وجوب السجود له و إنكار سجودهم للشمس و إضافته إلى الشيطان و تزيينه، قال الزمخشري: "لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كما ألهمه و غيره من الطيور و سائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها."[1]

"ألا" بمعنى وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله، و يقدر لام جر يتعلق بـ"صدهم عن السبيل". و يجوز أن يكون المصدر المسبوك من "ألا يسجدوا" بدل بعض من "أعمالهم" و ما بينهما اعتراض.[2]

جملة " يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض" تشير إلى كمال قدرته و جملة " وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ " تشير إلى كمال علمه، و أنه استوى فيه الباطن و الظاهر، و قدم "ما تخفون" مع مناسبته لما قبله من الخبء و قدم وصفه بإخراج الخبء من السماوات لأنه أشد ملاءمة للمقام.[3]

و مجيء الجملة " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ " عقب ذلك استئناف هو بمنزلة النتيجة للصفات التي أجريت على اسم الجلالة، و هو المقصود من هذا التذييل، أي ليس لغير الله شبهة إلاهية.[4] و هذا مقابل وصف عرش ملكة سبإ بالعظم، ليؤكد على ما بين هذين الوصفين من فرق كبير. و عن هذا قال الزمخشري: "بين الوصفين بون عظيم، لأن وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك، و

---

[1] الكشاف، ج 4، ص 448
[2] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 255
[3] تفسير روح المعاني، ج 19، ص 192
[4] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص255

وصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السماوات و الارض."[1]

وفي هذا تعريض بأن عظمة ملك بلقيس و عظم عرشها ما كان حقيقا بأن يغريها بالإعراض عن عبادة الله تعالى لأن الله هو رب الملك الأعظم، فتعريض "العرش" للدلالة على معنى الكمال.[2]

وفي نهاية هذه الآية موضع سجود تلاوة تحقيقا للعمل بمقتضى قوله "ألا يسجدوا لله". و فيه إنكار سجودهم لغير الله لأن الله هو الحقيق بالسجود.[3]

" قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ " .

" قال " استئناف بياني، وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد كأنه قيل: فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك؟ فقيل: قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ.... [4]هنا لا يتسرع سليمان في تصديقه أو تكذيبه و إنما يأخذ في تجربته للتأكد من صحة النبأ، و هذا من شأن النبي العادل و الملك الحازم.[5]

" أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ " كان مقتضى الظاهر "أم كذبت" و إيثار ما عليه النظم الكريم للإيذان بأن كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فإن مساق هذه الأقاويل الملفقة على ترتيب أليق يستميل قلوب السامعين نحو قبوله من غير أن يكون لها

---

[1] الكشاف، ج 4، ص 450
[2] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، 256
[3] المرجع السابق نفسه
[4] تفسير أبي السعود، ج 4، ص 257
[5] في ظلال القرآن ، المجلد 5، ص 2639

مصداق أصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم الشأن لا يكاد يصدر إلا عمن له قدم راسخ في الكذب و الإفك.[1]

و في ذلك إيذان بتوضيح تهمته بالكذب ليتخلص من العقاب و إيذان بالتوبيخ و التهديد و إدخال الروع عليه بأن كذبه أرجح عند الملك ليكون الهدهد مغلبا الخوف على الرجاء، و ذلك أدخل في التأديب على مثل فعلته و في حرصه على تصديق نفسه بأن يبلغ الكتاب الذي يرسل معه.[2]

" اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا " استئناف مبين لكيفية النظر الذي وعده عليه السلام بعد ما كتب كتابه في ذلك المجلس أو بعده. فهذا إشارة إلى الحاضر و تخصيصه عليه السلام إياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من أمناء الجن الأقوياء على التصرف و التعرف لما عاين فيه من مخايل العلم و الحكمة و لئلا يبقى له عذر أصلا.[3]

" فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ " على ضمير الجمع لأنه قال: "وجدتها و قومها يسجدون للسمش"، فقال: "فألقه إلى الذين هذا دينهم"، اهتماما منه بأمر الدين، و اشتغالا به عن غيره. و بني الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك.[4]

" قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ "[5].

"قالت" جملة مستأنفة استئنافا بيانيا لأن غرابة إلقاء الكتاب إليها يثير سؤالا عن شأنها حين بلغها الكتاب.

---

[1] تفسير أبي السعود، ج 4، ص 257
[2] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 256
[3] تفسير روح المعاني، ج 19، ص 193
[4] الكشاف، ج 4، ص 450
[5] سورة النمل، آية 29-31

و هنا يوجد الإيجاز بالحذف دل على المحذوف ما بين الخبرين المذكورين من اقتضاء عدة أحداث، إذ التقدير: بعد ما ذهب الهدهد بالكتاب فألقاه إليهم و تنحى عنهم حسبما أمر به. و إنما قدر ذكره إيذانا بكمال مسارعته إلى إقامة ما أمر به من الخدمة، و إشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره.

" إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ " جملة مؤكدة بـ"إن" للاعتناء بشأن الحكم، و بناء "ألقي" للمجهول لعدم الاهتمام بالفاعل و لإظهار شخصية نفسها، و هذا يناسب عادة الحكام، و فيه أيضا معنى التنبيه إلى الاهتمام بالكتاب و صفها الكتاب الكريم يؤكد هذا المعنى.

" إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ " جملة مستأنفة بيانية جوابا للسؤال الذي تثيره الجملة قبلها: ممن ألقيت هذا الكتاب و ما مضمونه؟ فقالت: " إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ".

التوكيد بـ"إن" في الموضعين أيضا يدل على اهتمامها بمرسل الكتاب و مضمونه.

و تكرير حرف "إن" أيضا يفيد هذا المعنى و يشير أيضا إلى اختلاف المعطوف و المعطوف عليه بأن المراد بالمعطوف عليه ذات الكتاب و المراد بالمعطوف معناه و ما اشتمل عليه، أي: إن هذا الكتاب من سليمان و إن المضمون مصدر باسم الله الرحمن الرحيم.[1]

[1] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 159

" أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ " هذه الجملة كناية عن طاعة ملكة سبإ لسليمان و لله، و من عادة الأنبياء الدعوة إلى الله أولا، هنا جعل سليمان الطاعة له عليه السلام أولا، لأنه دعا ملكة سبأ إلى توحيد الله فهذا ليس كدعوة عامة الناس، فلا بد من تقديم المعجزة حتى تطيع سليمان أولا، ثم على هذا الأساس دعاها إلى توحيد الله. فبسبب هذا جعل سليمان عليه السلام الطاعة له عليه السلام قبل طاعتها لله تبارك و تعالى. ففي آخر القصة قالت ملكة سبإ: " أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ " أيضا لائتلاف مع هذا المعنى.

"ألا" مكون من "أن" و لا الناهية، نهي مستعمل في التهديد، والإتيان في "و أتوني" هو إتيان مجازي على طريقة الاستعارة، مثل ما قيل: اتبع سبيلي.[1]

كان كتاب سليمان وجيزا لأن ذلك أنسب بمخاطبة من لا يحسن لغة المخاطب فيقتصر له على المقصود لإمكان ترجمته و حصول فهمه فأحاط كتابه بالمقصود، و هو تحذير ملكة سبأ من أن تحاول الترفع على الخضوع إلى سليمان و الطاعة له و دعوتها إلى توحيد الله فهذا المعنى يستدعي القصر مع توفير المعنى المقصود.[2]

" قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ

---

[1] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 262
[2] المرجع السابق، ص 260

أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ "[1].

" قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ..." الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا مثل ما قبلها، و كررت هنا حكاية قولها للإيذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها.[2]

" مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ " الإتيان بـ"كان" للإيذان بأنها استمرت على ذلك أو لم يقع منها غيره في الزمن الماضي فكذا في هذا و "حتى" غاية للقطع.[3] و قد قصدت بما قالته تهويلا للأمر و رفعا لمحلهم بالإشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات الملمة و استعطافهم و تطييب نفوسهم ليساعدوها و يقوموا معها في مواجهة المشكلة.[4]

"قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ" استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولها كأنه قيل: فماذا قالوا في جوابها؟ فقيل: " قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ".

و هذا الجواب بأسلوب المحاورة فلذلك فصل و لم يعطف كما هي طريقة المحاورات، و كذلك في الجملة بعدها: " قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ...".

" وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ " تسليم الأمر إليها بعد تقديم ما يدل على القوة و الشجاعة حتى لا يتوهم أنه من العجز. و الأمر بمعنى الشأن

---

[1] سورة النمل، آية 32-37
[2] تفسير أبي السعود، ج 4، ص 259
[3] تفسير روح المعاني، ج 19، ص 197
[4] المرجع السابق نفسه

و هو المبتدأ, و إليك متعلق بمحذوف وقع خبرا له و يقدر مؤخرا ليفيد الحصر المقصود لفهمه من السياق أي و الأمر إليك موكول.[1] كأنهم بهذا الكلام أشاروا عليها بالقتال.

" قالتْ إنَّ المُلوكَ إذا دَخَلوا قَرْيَةً أفسَدُوهَا وَجَعَلوا أعِزَّةَ أهْلِهَا أذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ "

افتتاح الكلام بحرف التوكيد للاهتمام بالخبر و تحقيقه.[2]

" وَجَعَلوا أعِزَّةَ أهْلِهَا أذِلَّةً " لم يقل "و أذلوا أعزة أهلها" مع أنه اخصر للمبالغة في التصيير و الجعل، على طريقة الإطناب.[3]

" وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ " هنا أيضا أسلوب الإطناب على طريقة الاعتراض التذييلي، تأكيد لما وصفته من حالهم و تقرير له بأن ذلك عادتهم المستمرة.[4]

و قال الخطيب القزويني عن الإطناب بالتذييل: "و هو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد." فهكذا هذه الآية.[5]

" وَإنِّي مُرْسِلَةٌ إلَيْهم بِهَدِيَّةٍ " تقرير لرأيها بعد ما زيفت آراءهم و أتت بالجملة الاسمية المؤكدة الدالة على الثبوت للإيذان بأنها مزمعة على رأيها لا يلويها عنه صارف و لا يثنيها عاطف أي و إني مرسلة إليهم رسلا بهدية عظيمة.[6]

---

[1] تفسير روح المعاني، ج 19، ص 198
[2] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 266
[3] تفسير روح المعاني، ج 19، ص 198
[4] تفسير أبي السعود، ج 4، ص 259
[5] الإيضاح، ص 154
[6] تفسير أبي السعود، ج 4، ص 260

" فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ "

" فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ " في الكلام حذف أي فأرسلت الهدية فلما جاء إلخ.

" أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ " الاستفهام الإنكاري، لإمدادهم إياه بالمال مع علو شأنه و سعة سلطانه و توبيخ لهم بذلك، و تنكير "مال" للتحقير.[1]

"ما الفرق بين قولك: أتمدوني بمال و أنا اغنى منكم، و بين أن تقول بالفاء؟ قلت: إذا قلته بالواو، فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى و اليسار، وهو مع ذلك يمدني بالمال، و إذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي، فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده،كأني أقول له: أنكر عليك ما فعلت، فإني غني عنه."[2]

" فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم " الجملة تعليل للإنكار و الكلام كناية عن عدم القبول لهديتهم.

"بل" للإضراب الانتقالي و هو انتقال من إنكار عليهم إمداده بالمال إلى رد ذلك المال و إرجاعه إليهم.[3]

قالت جمهرة النحاة و المفسرين إن "بل" في القرآن الكريم لم ترد حرفا للعطف، بل جاءت حرف ابتداء غير عاطف، يفيد إحدى معنيين:

الأول: الإضراب الانتقالي و التوكيد، و معناه الانتقال من غرض إلى آخر مع بقاء ما قبل "بل" على حاله من غير إبطال؛

---

[1] تفسير أبي السعود، ج 4، ص 261
[2] الكشاف، ج 4، ص 454
[3] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 268

الثاني: الإضراب الإبطالي الذي يفيد نفي حكم سابق عليها أورده القرآن الكريم.[1]

و تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في "أنتم تفرحون" لإفادة القصر، أي أنتم، وهو كناية عن رد الهدية.[2]

"ارجع" أفرد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول و عموم الامتداد و نحوه للكل أي ارجع أيها الرسول.[3]

"فلنأتينهم" جواب قسم محذوف، و تقديره: فو الله لنأتينهم.

"و لنخرجنهم" عطف على جواب القسم المحذوف، و حذفه لأنه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع إليهم فليأتوا مسلمين إلا فلنأتينهم إلخ.[4]

" قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ "[5].

---

[1] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ص 497
[2] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 268
[3] تفسير ابي السعود، ج 4، ص 261
[4] تفسير ابي السعود، ج 4، ص 262
[5] سورة النمل، آية 38-40

استئناف ابتدائي لذكر بعض أجزاء القصة، و حذف خبر رجوع الرسل و الهدية، و سأل سليمان الملأ من جنده بإحضار عرش ملكة سبأ ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته و يعرفها بذلك قدرة الله و عظيم شأنه.

" قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ ..." و " قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ..." كلاهما واقعة موقع جواب المحاورة ففصلت على أسلوب المحاورات كما تقدم غير مرة.

" قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ..." دلالة على شرف العلم و إن هذه الكرامة بسببه. و هي فصلت عما قبلها للإيذان بما بين القائلين و مقاليهما و كيفيتي قدرتهما على الإتيان من كمال التباين أو لإسقاط الأول عن درجة الاعتبار. و تنكير "علما" للتفخيم، و الرمز إلى أنه علم غير معهود.[1]

و "من" في قوله "من الكتاب" ابتدائية، أي عنده علم مكتسب من الكتاب. حرف "من" تستعمل لابتداء الغاية الحقيقية المكانية، و لكن هذه الابتدائية الغاية المكانية قد تتطور إلى غاية مجازية[2] نحو قوله في هذه الآية.

" قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ " و " قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ " كنايتان عن السرعة و الأسرعية. وهذه المناظرة بين العفريت من الجن و الذي عنده علم من الكتاب ترمز إلى أنه يتأتى بالحكمة و العلم ما لا يتاتى بالقوة، و أن الحكمة مكتسبة لقوله "عنده علم من الكتاب"، و أن قوة العناصرطبيعة فيها، وأن الاكتساب بالعلم طريق لاستخدام القوى التي لا تستطيع استخدام بعضها بعضا. فذكر في هذه القصة مثلا لتغلب العلم على القوة، و لما كان هذان الرجلان مسخرين لسليمان كان ما اختص به من المعرفة مزية لهما

---

[1] تفسير ابي السعود، ج 4، ص 263
[2] معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ص 1040

ترجع إلى فضل سليمان و كرامته أن سخر الله له مثل هذه القوى. و مقام نبوته يترفع عن أن يباشر بنفسه الإتيان بعرش ملكة سبأ.[1]

" فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ ..." في هذا القول حذف إذ التقدير فأتاه به فرآه فلما رآه إلخ، فحذف ما حذف بسبب ما دل عليه سياق الآية و الإيذان بكمال سرعة الإتيان به كأنه لم يقع بين الوعد به و بين رؤيته عليه السلام إياه شيئ ما أصلا و في تقييد رؤيته باستقراره عنده تأكيد لهذا المعنى مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده.[2]

" وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ "، هذه جملة اعتراضية تبين حكمة خلقية دينية، فكل متقرب إلى الله بعمل صالح يجب أن يستحضر أن عمله إنما هو لنفسه يرجو به ثواب الله و رضاه في الآخرة، و يرجو دوام التفضل من الله عليه في الدنيا، فالنفع حاصل له في الدارين و لا ينتفع الله بشيء من ذلك.

و عبر عن رجوع فائدة الشكر إلى نفس الشاكر بـ"إنما"، فأفاد التعبير القصر أي ما يشكر إلا لنفسه، فثواب الشكر لا يتعداه إلى غيره، فجاء القصر بـ"إنما" للإشارة إلى أن هذا حكم معلوم لا ينكره أحد.

و العدول عن الاضمار إلى الإظهار في قوله " فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ " دون أن يقول: فإنه غني كريم، تأكيد للاعتراف بتمحض الفضل المستفاد من قوله "فضل ربي".[3]

---

[1] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 261
[2] تفسير أبي السعود، ج 4، ص 263
[3] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 262

" قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ "[1]

"قال" كررت الحكاية مع كون المحكي سابقا و لاحقا من كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين السابق و اللاحق من المخالفة لما أن الأول من باب الشكر لله و الثاني أمر لخدمته.[2]

و هذا أيضا من جملة المحاورة التي جرت بين سليمان و بين ملئه و لذلك لم تعطف لأنه جرى على طريقة المقاولة و المحاورة، قد سبق شرح هذا غير مرة.

" أَهَكَذَا عَرْشُكِ " لم يقل "أ هذا عرشك" لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الأمر بالتنكير من إبراز العرش في معرض الإشكال

و الاشتباه حتى تتبين حالها و قد ذكرت عنده عليه السلام بسخافة العقل.[3]

" قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ " فأنبأت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل "هو هو" مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات و مراعاة لحسن الأدب في محاورته عليه السلام.[1]

---

[1] سورة النمل، آية 41-44
[2] تفسير أبي السعود، ج 4، ص 264
[3] المرجع السابق نفسه

و جاء التعبير بأسلوب التشبيه و أداته "كأن" للإشارة إلى قوة الشبه بين الطرفين، و تأكيد أنهما شيء واحد.

و في ذكر فعل الكون مرتين في "ما كانت تعبد" و "إنها كانت من قوم كافرين" دلالة على تمكنها من عبادة الشمس و كان ذلك التمكن بسبب الانحدار من سلالة المشركين. فالشرك منطبع في نفسها بالوراثة، فالكفر قد أحاط بها بتغلغله في نفسها و بنشأته عليه و بكونها بين قوم كافرين فمن أين يخلص إليها الهدى و الإيمان.[2]

و مكان العبرة منها الاتعاظ بحال هذه الملكة، إذ لم يصدها علو شأنها و عظمة سلطانها مع ما أوتيته من سلامة الفطرة و ذكاء العقل عن أن تنظر في دلائل صدق الداعي إلى التوحيد و توقن بفساد الشرك و تعترف بالوحدانية لله، فما يكون إصرار المشركين على شركهم بعد أن جاءهم الهدي الإسلامي إلا لسخافة أحلامهم أو لعمايتهم عن الحق و تمسكهم بالباطل و تصلبهم فيه.[3]

بعون الله و توفيقه تم تحليل نظم قصة داود و سليمان عليهما السلام.

---

[1] المرجع السابق، ص 265
[2] تفسير التحرير و التنوير، المجلد 19، ص 274
[3] المرجع السابق، ص 277

تذييل

عن العبر و الدروس المستفادة من قصة داود و سليمان

يقول الله تعالى:

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ-سورة يوسف، آية 111.

كما قال الله تعالى في هذه الآية أن قصص القرآن فيها عبر عدة و فوائد جمة تخبأ في كل آية حتى في كل كلمة. هذه القصص و فوائدها كمثل النهر الذي له ماء عذب و لا نهاية له، كلما نشرب منه نتلذذ من مائه العذب الجديد، و لكن لا نستطيع أن نشرب منه إلا قليلا. و هكذا العبر و الدروس المستفادة من قصة داود و سليمان عليهما السلام.

فبسبب هذا لا يمكن لي أن أستخرج كل العبر و الدروس من قصتهما، و لكن أحاول أن أستخرج منها بعض أهم هذه العبر و الدروس، أو بعبارة أخرى بعض العبر و الدروس التي نحن في أمس الحاجة إلى معرفتها و تدبرها من وجهة نظري.

فهذه العبر و الدروس أجملها فيما يلي:

الأول: الدروس و العبر المستفادة من قصة داود

1- كثرة التسبيح و الذكر لله من سنن الأنبياء و الصالحين، كما قال الله تعالى:"إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ"، العشي و الإشراق تدل على كثرة تسبيحه لله.

2- إن الله يحب أن يكون العبد قويا في طاعته و الرجوع إليه في جميع الأمور، كما قال الله تعالى:" وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ"، هذه الآية تدل على قوته في الدين و رجوعه الدائم إلى الله.

3- إن الفتنة و البلاء من سنن الله يفتن بها من يشاء، فلا بد من الصبر و كثرة الاستغفار،كما قال الله تعالى:" وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ".

4- الاستغفار و العبادة خصوصا الصلاة من مكفرات الذنوب.

5- إن من أكبر نعم الله على العبد علم نافع و معرفة الحكم و الفصل بين الناس، و يفضل الله بعضا على بعض من عباده بالعلم، كما قال الله تعالى:" وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ".

6- إن الولد الصالح هبة من الله، كما قال الله تعالى:" وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ".

7- عدم الغضب عند النصح و إن كان المنصوح عظيم الشأن و رفيعة المكانة، كنصيحة خصمين لداود:" فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ".

8- إن الشكر لله يكون بالعمل الصالح، و الذي يجمع بين الإيمان و العمل الصالح قليل، كقوله تعالى:" اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ".

9- إن اتباع الهوى سبب الضلال، و من يتبع الهوى فله العذاب الشديد، و من أسباب الضلال نسيان يوم الحساب، كقوله تعالى:" وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ".

10- إن الحاكم خليفة الله في الأرض، فلا بد من الحكم بين الناس بالحق، كقوله تعالى:" يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ".

11- عدم العجلة في اتخاذ الحكم، فلا بد من سماع شهادة الخصمين و عدم الاكتفاء بواحد منهما فقط، كحكم داود بين الخصمين.

الثاني: الدروس و العبر المستفادة من قصة سليمان

1- بعد النظر و سعة الأفق، كحكمه في الحرث.

2- يقظة القائد، و معرفته بأحوال الرعية، كما في تفقد سليمان للطير.

3- العدل، عندما وجد سليمان أن الهدهد غائب، لم يعذبه مباشرة و لكن يعطيه فرصة لبيان سبب تغيبه، هذا عدله.

4- الشورى قبل اتخاذ القرار، كاستشارة سليمان لملئه.

5- نسبة الفضل لأهله،كما جاء في القرآن:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ".

6- استعمال كل الوسائل الضرورية لدعوة الناس إلى الله، كدعوة سليمان لملكة سبإ.

7- التثبت في القرار.

8- القوة في اتخاذ القرار في الوقت المناسب.

9- إتقان قاعدة المصالح و المفاسد.

10- فن الحوار حسب الظروف و المناسبة و المخاطب.

11- علو المكانة و عظمة الشأن لا يجب أن يصد الناس عن الصراط المستقيم، و عدم الكبر عند الحق.

خاتمة

و بعد، فهذا تحليل موجز لنظم قصة داود و سليمان في ضوء أقوال العلماء و المفسرين، و قد قصدت به توسيع عقلي في فهم كلام الله و التيسير علي لدراسة علوم القرآن في المستقبل، و معرفة ما قصه الله على رسوله محمد صلى الله عليه و سلم من أنباء النبيين داود و سليمان.

فهذا البحث ما هو إلا نتيجة جهدي في السنتين الماضيتين، فقد عشت مع هذين النبيين الجليلين طوال هاتين السنتين منذ عزمت كتابة بحث الماجستير في قصتهما. في الحقيقة لم أكن أصمم وقتذاك أن أكتب الرسالة في مجال بلاغة القرآن- و إن كنت أحب هذا العلم كثيرا- لأني تصورت أنه صعب جدا خارج عن طاقتي و قدرتي، خاصة أنا طالب من بلاد الصين، و لكن أستاذي د. محمود حسن مخلوف- عميد كلية اللغة العربية السابق كان يدرسنا البلاغة العربية في مرحلة العالية، ثم أصبح مشرفا أولا على بحثي بعد قبول اللجنة لخطتي- جاء إلي و شجعني على الدراسة في بلاغة القرآن كلام الله و وعدني بتقديم كل وسائل المساعدات لي. فمنذ ذلك الوقت عزمت أن أبذل حياتي في تعلم هذا العلم الجليل و تعليمه و نشره في الصين. فقبلت نصيحة الاستاذ و ثبتت أقدامي في هذا العلم.

قد واجهت صعوبات و مشاكل كثيرة في أثناء كتابتي لهذا البحث، و لكن بعون الله و توفيقه و إرشادات الأساتذة و مساعدة الزملاء - جزاهم الله خير الجزاء- استطعت حل هذه المشاكل و الصعوبات.

فالآن أجمل أهم نتائج البحث فيما يلي:

1- بعد هذه الجولة العلمية قوى إيماني و ازداد حبي لكلام الله عز و جل، و تثبت عزمي في تعلمه و تعليمه.

2- قد تعمق فهمي للقرآن ولإعجازه، و نلت نصيبا طيبا من بحر علوم القرآن.

3- قد أصبح علمي للبلاغة العربية أكثر سعة و عمقا، و هذا لا شك سيساعدني في الدراسة في المستقبل.

4- من خلال قراءتي و دراستي لبعض التفاسير خاصة التفاسير البلاغية عرفت مناهج العلماء و أساليبهم في هذا المجال و إن كانت هذه المعرفة لا تزال سطحية و قليلة، و لكنها تتيح لي إمكانية فهم القرآن فهما صحيحا كاملا في المستقبل.

5- قد عرفت بوضوح نقاط الضعف و النقص لنفسي و لعلمي، فسوف أجتهد في تقوية هذه نقاط الضعف و تكميل تلك نقاط النقص، حتى أتواصل دراستي بطريقة أفضل و أحسن.

هذه هي أهم نتائج بحثي بالنسبة لنفسي و لدراستي، و أدعو الله أن يوفقني في حياتي الدراسة المستقبلية.

و هذا من الله العون و به التوفيق.

مصادر و مراجع

1. أسرار البلاغة للشيخ عبد القاهر الجرجاني، الطبعة الأولى،1988م، دار الكتب العلمية – بيروت.
2. الإيضاح في علوم البلاغة،الخطيب القزويني،الطبعة الأولى 2003م،دار الكتب العلمية- بيروت.
3. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير و علوم القرآن بإشراف أ.د. مصطفى مسلم،جامعة الشارقة، 2010م.
4. بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم لمحمد مشرف خضر.
5. البلاغة فنونها و أفنانها – علم المعاني للدكتور فضل حسن عباس، الطبعة الرابعة،1997م، دار الفرقان.
6. تاريخ الأنبياء للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي المتوفى463هـ، دراسة و تحقيق:آسيا كليبان علي البارح،الطبعة الأولى،2004م، دار الكتب العلمية – بيروت.
7. تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم، الدكتور محمد الطيب النجار،الطبعة الثالثة 1981م، دار الاعتصام.
8. ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الصينية، مترجم الشيخ الصيني مكي(ma jian)، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
9. تفسير أبي السعود لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي

الحنفي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، مطبعة السعادة.

10. تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور.

11. تفسير روح المعاني للعلامة الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

12. يفسير الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، حققه و علق حواشيه محمود محمد شاكر، راجعه و خرج أحاديثه أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

13. تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب، الطبعة الشرعية الثانية و الثلاثون،2003م، دار الشروق.

14. تفسير الكشاف للزمخشري، الطبعة الأولى،1998م، تحقيق و تعليق و دراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي مجمد معوّض، الناشر مكتبة العبيكان بالرياض.

15. حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي،مكتبة الحقيقة،استنبول، 1998م.

16. خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى،الطبعة الرابعة، 1997م، مكتبة وهبة- القاهرة.

17. درة التنزيل و غرة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، دراسة و تحقيق و تعليق: د. محمد مصطفى آيدين، الطبعة

الأولى،2001م، معهد البحوث العلمية، جامعة أم قرى.

18. دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني، قرأه و علق عليه محمود مجمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1987م.

19. دلالات التراكيب للشيخ د. محمد محمد أبو موسى، الطبعة الثانية، الناشر مكتبة وهبة.

20. السرد القصصي في القرآن الكريم لثروت أباظة، الناشر مكتبة مصر.

21. معجم حروف المعاني في القرآن الكريم،لمحمد حسن الشريف،الطبعة الأولى 1996م،مؤسسة الرسالة- بيروت.

22. من بلاغة القرآن،أحمد أحمد بدوي، 2005م، نهضة مصر.

23. نظم الدرر في تناسب الآيات و السور،للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب الإسلامي- القاهرة.

فهرس

مقدمة.....1

تمهيد.....9

الفصل الاول.....25

الحلقة الأولى.....25

الحلقة الثانية.....27

الحلقة الثالثة.....34

الحلقة الرابعة.....38

الفصل الثاني.....41

الحلقة الأولى.....41

الحلقة الثانية.....54

الحلقة الثالثة.....63

تذييل.....89

خاتمة.....93

مصادر و مراجع.....96

فهرس.....99